


# خلف القناع

7'6"
7'0"
6'6"
6'0"
5'6"
5'0"
4'6"
4'0"
3'6
3'0
2'6"

د. نبيل فاروق



عندما يعجز القانون البشري عن القصاص..

عندما تحيطُ العدالة عينيها بعصابةٍ سميكةٍ..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..

عندئذ ينهض هو للقتال، حاملًا ذلك الاسم، الذي يثيرُ الرجفةَ في قلوب أعتى المجرمين..

اسم (العقرب)

-١-

# التحدى

«من هنا أيُّها السادة، ووفقًا لكل ما أمامكم، فأنا أطالب ببراءة موكلي، من التهم المنسوبة إليه كافة...»...

دوَّى صوت المحامي الشهير (فؤاد ثعلب)، في قاعة المحكمة، وهو يقف بمظهره الفخم المهيب، أمام منصة القضاء، مشيرًا إلى رجل، احتل مقعدًا في الصف الثاني من القاعة، محاطًا بعدد من أعوانه، على نحو لا يوحي أبدًا بأنَّه المتهم، الذي تدور حوله المحاكمة...

وعلى الجانب الآخر من القاعة، جلس (نديم فوزي)، رجل الشرطة السابق، والمحامي الحالي، صامتًا، يتابع الموقف دون تعليق، وإن انعقد حاجباه قليلًا، وبدا أكثر وسامة في روب المحاماة الأسود، الذي يوحي بأنَّه الخصم، في القضية ذاتها...

وفي توتر، مالت مساعدته (غادة) على أذنه، تهمس:

- ماذا تتوقع؟!...

غمغم في حزمٍ:

- البراءة.

تراجعت مستنكرة، وهي تقول:

- بعد كل ما فعلناه؟!..

أشار إليها بالصمت والهدوء، في حين انسحب القضاة إلى حجرة المداولة؛ للتشاور بشأن إصدار الحكم النهائي، فالتفت (ثعلب) إلى (نديم)، وقال في تشفٍّ:

- أخطأتَ هذه المرة يا (نديم).

عقدت (غادة) حاجبيها في ضيق، في حين ظل (نديم) محتفظًا بهدوئه، وهو يقول:

- القضية كانت تحوي كل الأدلة والبراهين والوثائق، التي تثبت فساد موكلك، ولو أنَّ الأمور سارت على النهج السليم،

لكان في الـ...

قاطعه المحامي الشهير بزمجرة قاسية، قبل أن يقول:

- أي قانون تتحدث عنه يا (نديم)؟!... أنت تعلم أنَّ الوثائق لم تعد في حوزتك، والأدلة كلها يعاد تفسيرها في المعتاد، خاصة في وجود من أقرَّ بالجرم.

واصل (نديم) هدوءه، وهو يقول:

- أظنُّ أنَّهم يطلقون عليه اسم (استغلال النفوذ).

مال المحامي الشهير عليه، وهو يقول في تحدٍّ:

- نعم... إنَّه (أسوأ استغلال للنفوذ).

بدت دهشة مستنكرة على وجه (غادة)، من هذا الرد المتبجح، واندفعت تهمُّ بقول شيء ما، ولكن (نديم) ضغط يدها في رفق، يدعوها إلى التراجع، وهو يقول بنفس الهدوء:

- هل يمكنك تكرار هذا، في حضور القضاة؟

لوَّح (ثعلب) بيده، هاتفًا:

- إنَّهم يعلمون.

ثم عاد يميل نحوه، مستطردًا في تحدٍّ أكبر:

- ولكن ماذا بيدهم ليفعلوا؟!

واعتدل بحركة حادة، ملوحًا بيده على نحو مسرحي، مضيفًا:

- إنَّه القانون.

غمغم (نديم) في صرامة:

- نعم.. إنَّه القانون.

وصمت لحظة، ثم أضاف في صرامة أكثر:

- ولكن ماذا عن العدالة؟!

ارتسم الغضب على وجه (فؤاد ثعلب)، وهو يقول:

- اسمع يا (نديم)، لو أردت نصيحتي، فأبعد تلك الأفكار، التي تدور في رأسك الفارغ هذا عنه، ولا تنس أنَّنا نعرف عنك كل شيء.

وبدا صارمًا قاسيًا، وهو يضيف بعينين ملتهبتين:

- هل تفهمني؟!... كل شيء.

تبادل معه (نديم) نظرة متحدية بضع لحظات، قبل أن يقول في هدوء، يحمل نبرة واثقة متحدية:

- من حسن الحظ أنَّني لم أرد نصيحتك.

تراجع المحامي في غضب، وهمَّ بقول شيء ما، ولكن أحد رجال المتهم وصل إليه، في هذه اللحظة، ووضع يده على كتفه، وهو يهمس في أذنه بكلمات، بدا من ملامحه أنَّها شديدة الأهمية، خاصة وأنَّه قد نهض بعدها مباشرة، متجهًا

نحو المتهم، وإن لم ينس أن يقول قبل انصرافه:

- لا تنس ما قلته لك.

غمغم (نديم) بنفس الهدوء، الذي يحمل رنة صارمة:

- وكيف يمكن أن أنسى.

تابعت (غادة) ببصرها المحامي، وهو يلتقي بالمتهم، ويتبادل معه حديثًا هامسًا، ثم مالت على (نديم)، تقول:

- لقد حذرتك من البداية يا (نديم).

أجابها في حزمٍ:

- القضية كانت مكتملة الأركان، عندما توليتها.

غمغمت في توتر:

- ولكنها قضية ضد (أحمد عزيز) شخصيًا.

قال في هدوء:

- وماذا في هذا؟!... أليس مواطنًا مصريًّا مثلنا؟!

قالت في توتر أكثر:

- نعم... إنَّه مواطن مصرى، ولا... هو ليس مثلنا.

انعقد حاجباه، دون أن يجيب، فتابعت بنفس التوتر:

- صحيح أنَّه لا يحتل أي منصب رسمي، ولكن الدولة كلها تعلم أنَّه الرجل الثاني فعليًّا في (مصر)؛ فهو يدير شئون الحزب، والمسئول الأول عن كل عضو فيه، وهو أكثر رجال النظام ثراءً وقوة، و...

قاطعها في حزمٍ:

- كنتُ أعلم كل هذا، عندما بدأت القضية.

قالت في سرعة:

- ولقد حاولت تحذيرك.

صمت (نديم) لحظات، قبل أن يقول بكل الحزم:

- اسمعيني جيدًا يا (غادة)... أنا أعلم منذ البداية، أن (أحمد عزيز) هذا هو الرجل الثاني في (مصر)، وأنه سيستخدم كل ما له من نفوذ؛ حتى يطمس الحقائق، ويخرج من الاتهام مثل الشعرة من العجين... وكنت واثقًا أيضًا من أنَّه سيحصل على البراءة في النهاية، مهما قلنا أو فعلنا.

سألته في دهشة:

- لماذا أثرت القضية إذن؟!

أجابها بنفس الحزم:

- أولًا: لأنَّ المصدر، الذي جلب لنا كل الأدلة والوثائق، هو أحد ضحايا (أحمد عزيز) وفساده وتجاوزاته، وعدد كبير من المحامين خشي الوقوف إلى جواره؛ بسبب نفوذ وقوة ومكانة (أحمد عزيز)، لهذا فقد وجدت أنَّه من واجبي، إحقاقًا للعدالة، أن أساند المظلوم.

سألته في اهتمام:

- وثانيًا:

صمت لحظة، قبل أن يجيب:

- لأنَّ هذا يمنحني كل الحق، في بدء الخطوة التالية.

بدا عليها توتر زائد، وهي تقول:

- حذار يا (نديم)... حديث (ثعلب) يؤكِّد أنَّهم يعرفون كل شيء عن هويتك السرية، وعن أنَّك كنت ذات يوم (العقرب).

غمغم في هدوء أدهشها:

- ليست لدي ذرة شك في هذا.

ثم أضاف بابتسامة باهتة:

- ولكن لدي تصحيح صغير يا عزيزتي...

وتطلع إلى عينيها الجميلتين مباشرة، وهو يضيف:

- فأنا ما زلت العقرب.

همَّت بقول شيء ما، ولكن القضاة عادوا إلى المنصة، في هذه اللحظة، فلاذت بالصمت، وانتبهت جيدًا...

ولم يأت الحكم بخلاف التوقعات...

براءة (أحمد عزيز)، من التهم المنسوبة إليه كافة...

وبينما يتلقى (أحمد عزيز) التهنئة من رجاله، في تعالٍ ملحوظٍ، عاد المحامي (ثعلب) إلى (نديم)، قائلًا:

- الأمر لم ينته بعد.

أجابه (نديم) في تماسك:

- كنتُ أظن، وفقًا لما تعلمناه، أنَّها المرحلة الأخيرة للتقاضي.

مطَّ المحامي الكبير شفتيه، وقال:

- ربما انتهت المواجهة هنا، في ساحة القضاء، ولكنك أسأت إلى (أحمد) باشا، واتهمته علانية بالفساد واستغلال النفوذ.

غمغم (نديم):

- أليس كذلك بالفعل؟!

تجاهل المحامي تعليقه، وواصل وكأنَّه لم يسمعه:

- وهو ليس ممن يغفرون الإساءة أبدًا.

هزَّ (نديم) كتفيه، قائلًا:

- يمكنه رفع دعوى رد شرف، أو...

قاطعه المحامي بإشارة صارمة من يده، وهو يقول:

- أخبرتك أن اللعبة قد انتهت في ساحة القضاء.

وقسا صوته في شدة، مع إضافته:

- وبدأت في ساحة الحياة.

تطلَّع إليه (نديم) لحظات، قبل أن يقول:

- وهي ساحتي المفضلة.

بدا المحامي أكثر قسوة وشراسة، وهو يقول:

- فليكن... ما دمت ترى هذا... ولكن عليك أن تدرك جيدًا، أنَّ قناعك لن يجدي هذه المرة، ومناوراتك القانونية أيضًا لن تفلح؛ لأنَّك قد أغضبت الرجل الثاني في الدولة، ولو أردت النصيحة الوحيدة؛ للنجاة من هذا الموقف، فهي تكمن في كلمة واحدة.

ومال نحو (نديم) بشدة، حتى أن (غادة) شعرت بالتوتر، وخاصة عندما أضاف بلهجة مخيفة:

- هاجر.

مضت لحظات، وكلاهما يتطلع إلى عيني الآخر في تحدٍّ سافر، قبل أن يقول (نديم)، في بطء وصرامة:

- إنَّني أحيا في وطني، أظنني سأبقى فيه.

تراجع المحامي، وهو يقول في شراسة:

- ستنفتح لك أبواب الجحيم إذن... لقد أغضبت (أحمد عزيز)، ولم يعد البلد يسمح بوجودكما معًا.

مال (نديم) نحوه هذه المرة، وهو يلتقط حقيبة أوراقه، قائلًا:

- انصحه إذن بأن يرحل.... وقبل فوات الأوان.

تراجع المحامي في دهشة مستنكرة، في حين كان (أحمد عزيز) يغادر القاعة، محاطًا بجيش من الصحفيين والإعلاميين، وغمغمت (غادة) بصوت مرتجف:

- أظنُّك فتحت بالفعل أبواب الجحيم، هذه المرة يا (نديم).

قال في صرامة، وهو يغادر القاعة:

- من يدري؟!

ومن خلفه، هتف المحامي الكبير في غضب:

- تذكَّر أنَّني قد حذرتك... وتذكَّر هذا اليوم جيدًا... الثالث والعشرين من يناير، عام ألفين وإحدى عشر... تذكَّر أنَّه بداية نهايتك.

أشار (نديم) إلى الباب، الذي خرج منه (أحمد عزيز)، وهو يقول في حزمٍ:

- أو نهايته.

امتقع وجه (غادة)، وهي تقول:

- (نديم)... لقد تجاوزت كل الحدود هذه المرة بالفعل.

أجابها في حسمٍ، وهو يغادر معها مبنى المحكمة:

- بل هم من تجاوزوا كل الحدود يا عزيزتي... قمعوا الرأي، وقهروا الفكر، وحولوا الوطن إلى دولة بوليسية، لا يأمن فيها مخلوق واحد على نفسه، وحتى الانتخابات الأخيرة، زوروها

على نحو سافر سافل، لا يقيم وزنًا حتى لعقول المصريين وكرامتهم.

ثم التفت إليها، وهو يفتح باب سيارته، مضيفًا:

- صدقيني يا عزيزتي... لقد حانت نهايتهم، ولكنهم ككل الطغاة لا يدركون.

لم يكد يتم عبارته، حتى شعر بيد ثقيلة توضع على كتفه، وسمع من خلفه صوتًا غليظًا يقول:

- أستاذ (نديم فوزي).

التفت (نديم) إلى ضابط شرطة، يحمل رتبة عقيد، واصل حديثه بنفس الغلظة، قائلًا:

- معي أمر اعتقال باسمك.

تراجعت (غادة) كالمصعوقة، هاتفة:

- أمر اعتقال؟!... ولكن لماذا؟!

وشد (نديم) قامته، وهو يقول في حزمٍ:

- أليس من المفترض، قانونًا، أن تسبق أمر الاعتقال تحريات واسعة، و...

قاطعه الضابط في تحدٍّ:

- كل شيء سليم يا سيد (نديم)، وفقًا لقانون الطوارئ... لدينا سجل مراقبة وتحريات كامل، يثبت أنَّك نفس الشخص، المطلوب قانونًا، والمعروف باسم (العقرب).

سأله (نديم)، وقد بدأ التوتر يتسلل إلى نفسه، مع قوات الأمن، التي أحاطت سيارته:

- ألديكم دليل واحد يثبت هذا؟!

لوَّح الضابط بيده، وهو يقول:

- ليس هذا من شأني.

وأضاف في سرعة:

- ولكن لدي ما هو أقوى من أي دليل.

وأخرج من جيبه ورقة، تحوي ختمًا سياديًّا، وهو يضيف، في لهجة أقرب إلى التشفِّي:

- أمر من وزير الداخلية شخصيًّا باعتقالك.

تراجعت (غادة) أكثر، وهي تردد:

- يا إلهي!... يا إلهي!...

ومع قولها، أحاطت بهما قوات الأمن أكثر...

وبدا من الواضح أنَّه ما من وسيلة للإفلات هذه المرة...

على الإطلاق.

***

## -٢-

# الوزير

اندفع (مجدي) على نحو ملحوظ، إلى تلك الحجرة، التي يحتجزون فيها (نديم)؛ تمهيدًا لترحيله إلى أحد السجون، بناءً على أمر الاعتقال، الصادر من وزير الداخلية شخصيًّا...

كانت (غادة) تجلس صامتة، إلى جوار (نديم)، الذي بدا، على الرغم من حساسية موقفه، شديد الهدوء والتماسك، حتى أنَّه رفع عينيه في بطءٍ إلى (مجدي)، في حين هتفت (غادة) فور رؤيته:

- العميد (مجدي).

وقف (مجدي) يتطلع إليها لحظات، قبل أن يجلس في بطءٍ، على مقعد مواجه لهما، ويشير إلى أحد الضباط، قائلًا:

- اتركونا وحدنا.

كان الضابط أقل منه رتبة، وعلى الرغم من هذا، فقد قال في شيء من الصرامة:

- أوامر سيادة الوزير ألا...

قاطعه (مجدي) في حِدَّةٍ:

- قلت: اتركونا وحدنا.

نقل الضابط بصره في توتر، بين (مجدي) و(نديم) و(غادة)، قبل أن يشير إلى جنوده بمغادرة الحجرة، وهو يكرِّر:

- أوامر سيادة الوزير ألا...

بدا (مجدي) شديد الصرامة والغضب، وهو يقول:

- هل سمعتني جيدًا أيُّها الرائد؟!

انعقد حاجبا الضابط في توتر، ولكنه أطاع الأمر، وغادر الحجرة، وما أن أغلق الباب خلفه، حتى التفت (مجدي) إلى

(غادة)، يسألها في شيء من الحدة:

- ماذا تفعلين هنا؟!... معلوماتي تشير إلى أنَّ أمر الاعتقاد صادر بحق (نديم) وحده.

قالت في توتر:

- وأنا محاميته، ومن حقي...

قاطعها (نديم) هذه المرة، قائلًا في هدوء:

- عبثًا حاولت أن أشرح لها، أنَّ هذه الحالة لا تندرج تحت البنود القانونية المعروفة.

غمغم (مجدي) في أسى:

- للأسف.

بدت (غادة) عصبية، وهي تقول:

- اسمع يا سيادة العميد.

استوقفها (مجدي) بإشارة من سبابته، وهو يغمغم:

- اللواء يا عزيزتي (غادة)... لقد حصلت على الترقية، في نفس النشرة الدورية، التي خرج فيها سيادة اللواء (حلمي) من الخدمة.

قال (نديم) في هدوء:

- من الطبيعي أن تبقى أنت، ويخرج هو، في زمن كهذا.

نظر إليه اللواء (مجدي) لحظات في صمت، ثم خفض عينيه، وقال:

- عندما كنت أطاردكَ بهذا الإلحاح، وأسعى طوال الوقت؛ لإثبات أنَّك (العقرب)، لم أكن أفعل هذا بدافع شخصي يا (نديم)، وإنَّما حفاظًا على القانون، الذي أقسمت أن أحترمه وأدافع عنه.

قالت (غادة) في عصبية:

- مثل قانون الطوارئ.

أجابها في سرعة وحزم:

- كلَّا..

وصمت لحظة أخرى، قبل أن يضيف:

- ذلك القانون موجود، منذ بدأ صراعنا يا (نديم)، ولكنك تعلم أنَّني لم أحاول استخدامه ضدك مرة واحدة.

أجابه (نديم)، وهو يتساءل عن مغزى الحوار:

- هذا صحيح... كنتَ دومًا خصمًا شريفًا.

صمت اللواء (مجدي) بضع لحظات أخرى، ثم قال:

- ولكن الخصم هذه المرة ليس شريفًا بالقدر نفسه يا (نديم)، وهو يمتلك نفوذًا أكبر مما تتصور... وبناءً على طلبه، تم تفتيش منزلك ومكتبك بمنتهى الدقة هذه المرة، وبوساطة طاقم فني خاص جدًّا.

سأله (نديم) في اهتمام:

- وما الذي عثروا عليه؟!

هزَّ (مجدي) رأسه في أسف، وقال:

- نفس ما سعيت أنا للعثور عليه، منذ سنوات.

قالها، وهو يخرج من جيبه قناع العقرب، ويضعه أمام عيني (نديم)، فانعقد حاجبا (غادة) في شدة، وهي تحدِّق في القناع، في حين ظلَّ (نديم) محتفظًا بهدوئه، وهو يقول:

- لستُ أظنُّ هذا يصنع فارقًا، في ظل هذه الظروف.

غمغم اللواء (مجدي):

- أنت على حقٍّ.

اندفعت (غادة) تقول في توتر شديد:

- ولكنك تعلم أنَّ (نديم) لم يرتد هذا القناع منذ سنوات،

وأن (أحمد عزيز) هذا هو الذي يرتدي قناعًا زائفًا، أمام المجتمع كله... قناع لا يمكن العثور عليه بتفتيش كل قصوره وممتلكاته.

أضاف (نديم) في حزمٍ:

- ذلك القناع، الذي أردت رفعه عن وجهه القبيح، لتبدو حقيقته أمام الجميع.

تراجع اللواء (مجدي) ينظر إليه في صمت، في حين قالت (غادة) في يأسٍ مريرٍ:

- يبدو أنَّهم قد أحكموا الخناق هذه المرة يا (نديم).

بدا (نديم) هادئًا إلى حدٍّ مستفزٍّ، وهو يقول:

- نعم... يبدو هذا... دولة بأكملها، في مواجهة رجل واحد... ماذا تنتظرون من هذا؟!

رمقه اللواء (مجدي) بنظرة عجيبة، قبل أن يميل نحوه، ليسأله:

- ألا تبالي باعتقالك يا (نديم)؟!

جاء دور (نديم)؛ ليصمت بضع لحظات، قبل أن يجيب في حزمٍ:

- اسمع يا (مجدي)... لقد فعلتُ ما فعلتُ، وأنا أؤمنُ بكل خطوة خطوتها، وما دمتُ أؤمنُ بما أفعلُ، فأنا أتقبلُ عواقبه بنفسٍ راضية.

سأله (مجدي) في بطء:

- أيًّا كانت؟!.

أجابه (نديم) بكل الحزم:

- أيًّا كانت.

بدا شبح ابتسامة عجيبة، على شفتي (مجدي)، وهو ينتزع مسدسه، قائلًا:

- في هذا نتفق.

ثم فجأة، ودون سابق إنذار، هوى بمسدسه...

على رأس (غادة)...

مباشرة...

***

بدا الضابط المكلف بحراسة (نديم) شديد التوتر، وهو يحدِّث مساعد وزير الداخلية، قائلًا:

- أوامر سيادة الوزير كانت ألا يغيب المتهم عن نظري لحظة واحدة، حتى يتمَّ ترحيله إلى معتقل (وادي النطرون)، ولكن سيادة اللواء (مجدي) أصر على البقاء معه وحدهما يا سيدي، ولم يمكنني معارضته.

أجابه مساعد الوزير في اهتمام:

- لا بأس... (نديم فوزي) هو قضية (مجدي) منذ سنوات، ولا ريب في أنَّ لديه الكثير ليعرفه منه، بعد وقوعه في

قبضتنا.

قال الضابط، في توتر أكثر:

- ولكن أوامر سيادة الوزير...

قبل أن يتم عبارته، بلغ مسامعه صوت شجار عنيف داخل الحجرة، التي ترك فيها (نديم) ومحاميته، مع اللواء (مجدي)، فسحب مسدسه، وهو يدفع بابها في قوة، هاتفًا برجاله:

- استعدوا.

توقف دفعة واحدة عند باب الحجرة، وتوترت كل عضلة في جسده، عندما وقع بصره على (غادة)، الملقاة أرضًا، والدماء تنزف من جرح برأسها، في حين يقبض (نديم) على عنق اللواء (مجدي)، وهو يصوِّب مسدس هذا الأخير إلى رأسه، واللواء (مجدي) يهتف في عصبية:

- المتهم جُنَّ جنونه، واختطف مسدسي، وضرب به محاميته، و...

رفع الضابط مسدسه في سرعة، وهو يهتف:

- اترك سيادة اللواء، وإلا...

قاطعه (نديم) في لامبالاة:

- وإلا ماذا؟!... هل تتوقع أن تفلح التهديدات الجوفاء، مع ضابط شرطة سابق، يعرف جيدًا كيف تسير الأمور؟!

هتف الضابط في صرامة عصبية:

- لدي أوامر من سيادة الوزير، بإطلاق النار عليك بلا تردد؛ عند محاولتك الفرار.

قال (نديم) في صرامة:

- وماذا عن اللواء (مجدي)... ألديك أوامر بقتله أيضًا؟!

ارتبك الضابط، ولم يدر أي قرار يتخذ، في مثل هذه الظروف، فصاح به اللواء (مجدي) في حِدَّةٍ:

- أفسح الطريق يا رجل... إنَّني أتحمَّل عنك المسئولية كاملة.

تردَّد الضابط لحظات، فصرخ فيه (مجدي):

- قلت أفسح الطريق.

«هل جُنِنت يا هذا؟!..»..

صرخ وزير الداخلية بالعبارة، بكل غضب الدنيا، عبر هاتفه الخاص، قبل أن يواصل صارخًا في الضابط:

- هل تخبرني أنَّه قد غادر مديرية الأمن، بكل جنودها وضباطها، وتجهيزاتها واستعداداتها، هكذا... بكل بساطة!!..

بدا الضابط مرتجفًا، وهو يجيب:

- لقد كان يأسر اللواء (مجدي) يا سيادة الوزير، وبحكم كونه ضابط شرطة سابقًا، كان يعلم كل طرقنا ووسائلنا، ولقد احتاط لها كلها، ثم استخدم سيارة سيادة اللواء للفرار.

سأله الوزير في عصبية:

- وأين اللواء (مجدي)؟!

بدا الضابط شديد الارتباك، وهو يقول:

- اصطحبه في فراره، يا سيادة الوزير.

صرخ الوزير:

- أغبياء.

ثم أنهى المحادثة في عنفٍ، والتقط هاتفه المحمول، وطلب رقمًا خاصًّا مميزًا، قبل أن يقول في برود:

- (أحمد) باشا.... لدي خبر مزعج بعض الشيء.

بدا (أحمد عزيز) هادئًا، وهو يقول:

- أتعني خبر فرار ذلك المحامي، من مديرية الأمن؟!

حمل صوت الوزير دهشته، وهو يقول في توتر:

- كيف علمت بهذا؟!... الخبر بلغني على التو!!

تجاهل (أحمد عزيز) إجابة السؤال، وهو يقول:

- ولقد علمت أيضًا أن رجالك لم ينطلقوا بسيارات الشرطة خلفه مباشرة؛ لأنه هدَّد بقتل اللواء (مجدي)، لو حاولوا هذا.

أضيف الغضب إلى صوت الوزير، وهو يقول:

- كيف تعلم كل هذا؟!... ألديك عيون في قلب وزارتي؟!

مرة أخرى، تجاهل (أحمد عزيز) إجابة الأسئلة، وهو يقول:

- ربما كان هذا من حسن حظنا يا سيادة الوزير.

قال الوزير في دهشة متوترة:

- وكيف هذا؟!

أجابه (أحمد عزيز) في حزمٍ:

- فراره العلني هذا، يعني أنَّه لم يعد تحت مسئولية وزارة الداخلية، وأنه قد صار رسميًا، خارجًا على القانون.

قال الوزير في انفعال:

- كونه خارجًا على القانون، يجعله تحت مسئولية وزارة الداخلية، في كافة الأحوال.

أجابه (أحمد عزيز) في صرامة هذه المرة:

- من الناحية الرسمية فحسب، وخاصة عندما تصدرون بيانكم الرسمي، عقب العثور على جثته.

غمغم الوزير بكل الدهشة:

- جثته؟!

بدا (أحمد عزيز) هادئًا واثقًا، وهو يقول:

- بالتأكيد... رجالي خلفه في هذه اللحظة، وهم على عكس رجالك... لا يلتزمون بأية قوانين...

ولم يحر الوزير جوابًا هذه المرة...

على الإطلاق....

***

«يمكنك النزول هنا يا سيادة اللواء...»...

قالها (نديم)، وهو يوقف سيارة (مجدي)، عند منطقة هادئة، من كورنيش (المعادي)، ثم التفت إليه، وحاوَل أن يبتسم، وهو يضيف:

- أعدك أن أبذل قصارى جهدي؛ للحفاظ على سيارتك.

التقط (مجدي) نفسًا عميقًا، وهو يقول:

- عندما يجازف الإنسان بتاريخه كله، فلن تكون لسيارته عندئذ قيمة.

سأله (نديم) في اهتمام:

- ولكن لماذا (غادة)؟!... ماذا كانت ضرورة أن توجه إليها تلك الضربة القاسية.

ابتسم اللواء (مجدي) ابتسامة شاحبة، وهو يقول:

- ستحتاج حتمًا إلى مقاتل في الخارج، وتلك الضربة ستخرجها من دائرة المسئولية... مؤقتًا.

قالها، وغادر السيارة، ثم التفت إلى (نديم)، قائلًا:

- اسمعني جيدًا يا (نديم)... بفرارك من مديرية الأمن، على هذا النحو، صرت رسميًا خارجًا عن القانون، وهذا يعني أن شخصية (نديم فوزي) لم تعد قادرة حتى على الظهور والمناورة، ولم تعد لديك سوى شخصية واحدة:

- (العقرب).

التقط (نديم) القناع، مع مجموعة البطاقات، وغمغم:

- كيف يمكنني أن أشكرك؟!

أجابه (مجدي) في حزمٍ:

- اقض على ذلك الوغد.

«(أحمد) باشا كان على حق...»...

نطقها رجل يجلس في سيارة بعيدة، ويتابع ما يحدث عند سيارة (مجدي)، فأضاف آخر، وهو يسحب مسدسه، ويجذب أجزائه في قوة:

- ذلك اللواء ساعده على الفرار.

غمغم الأول:

- هل نقتنص اللواء أيضًا؟!

أجابه الثاني في حزمٍ:

- كلا... الأوامر تقول: المحامي وحده.

رأيا اللواء (مجدي) يتراجع، وسيارته، التي يقودها (نديم) تواصل طريقها، نحو منطقة (حلوان)، فانطلقا خلفها، في نفس اللحظة التي استوقف فيها اللواء (مجدي) سيارة أجرة، وطلب من السائق توصيله إلى طريق (صلاح سالم)، وهو يجري اتصاله بمديرية الأمن، قائلًا، متصنعًا التوتر:

- أين أنتم؟!... لقد تركني بالقرب من المقابر، وفرَّ هاربًا، في اتجاه (مصر القديمة).

وبينما يدلي بمعلوماته المضللة إلى زملائه، كان (نديم) ينحرف بالسيارة، في حركة حادة، نحو منطقة شبه مقفرة، فانحرفت خلفه سيارة مطارديه، وراكبها الأول يهتف:

- لا تدعه يفلت منك.

كان الثاني يضغط دواسة الوقود بكل قوته، عندما لمح سيارة اللواء (مجدي) متوقفة، إلى جانب الطريق، فنقل قدمه إلى فرامل السيارة في سرعة، وأصدرت السيارة صريرًا مزعجًا، وهي تتوقف على نحو مفاجئ، ووثب منها الأول في سرعة، وهو يندفع نحو سيارة (مجدي) هاتفًا بزميله:

- أبقِ المحرك دائرًا.

وبلا تردُّد، وعلى الرغم من أن المنطقة ليست مقفرة تمامًا، صوب مسدسه نحو مقعد السائق...

وأطلق النار نحو هدفه...

مباشرة.

***

## -٣-

# غادة

«لماذا تحتجزونني بالضبط؟!...»..

ألقت (غادة) السؤال في عصبية، على الرجلين اللذين يقفان في حجرة المستشفى، التي ترقد فيها؛ لعلاج إصابة رأسها، ولكنها لم تتلق جوابًا منهما، وهما يتطلعان إليها في صمت وصرامة...

خبرتها في العمل بالشرطة، أنبأتها بأنَّهما ليسا من رجال الشرطة...

إنَّهما أقرب إلى اللصوص...

أو البلطجية...

اعتدلت محاولة مغادرة فراشها، وهي تقول في حِدَّةٍ:

- إن لم أتلق جوابًا، فسوف...

اندفع إليها الرجلان، قبل أن تتم عبارتها، وأعادها بالقوة إلى فراشها، فصرخت هي تقاومهما:

- ليس من حقكما... إنَّني محامية واحتجازي يحتاج إلى إذن من نقيب المحامين.

كانت نظرات الرجلين تحمل شراسة وقساوة، مما جعلها تستكين في فراشها، وهي تقول في عصبية:

- إنَّني أصر على حقوقي القانونية.

فتح الباب في هذه اللحظة، وظهر عنده وجه مألوف إعلاميًا، فتراجع الرجلان عنها في سرعة، ووقفا في ركن الحجرة، في حين دلف (أحمد عزيز) إلى حجرتها، وهو يقول في هدوء:

- لماذا كل هذا الصراخ يا آنسة (غادة)؟!... المفترض أنَّ هذا هو الجناح الهادئ من المستشفى.

أدهشها حضوره شخصيًّا، ولكنها قالت في صرامة:

- بأي حق تحتجزونني هنا؟!

هزَّ رأسه نفيًا في ثقة، وهو يجيب:

- بلا أية حقوق... إنَّنا نحتجزك فحسب.

قالت في دهشة:

- هكذا؟!

هزَّ كتفيه، قائلًا:

- نعم... هكذا.

ثم مال نحوها، قائلًا في صرامة:

- لو أنَّك تصورت أنَّ لعبة إصابة رأسك هذه ستخدعني، فأنت وعقربك واهمان.

غمغمت في حذر:

- أي عقرب؟!

تجاهل تعليقها تمامًا، وهو يواصل:

- إنَّها وسيلة لإخراجك من الصورة، على نحو قانوني؛ حتى تصبحين سلاح العقرب الحر.

قالت في حذر أكثر:

- إنَّك تكثر من الحديث عن العقارب، على نحو غير مفهوم.

اعتدل مبتسمًا في سخرية، وهو يقول:

- محاولتك هذه لن تجدي نفعًا، فأنا على معرفة تامة بما فعله (نديم) هذا، منذ سنوات، ولدي ملف كامل عنه، لا يتوفَّر حتى لوزارة الداخلية نفسها.

هزَّت رأسها، قائلة:

- أيًّا كانت أوهامك، فليس من حقك احتجازي هنا.

مطَّ شفتيه، وقال، وهو يشير من خلف ظهره:

- أنت على حق... صحيح أنَّ المستشفى مملوك لي، ولكنه مكان عام، لا يصح احتجازك فيه؛ منعًا للقيل والقال.

مع إشارته، اقترب أحد الرجلين منها، وهو يحمل محقنًا، في حين اندفع الثاني نحوها، وكمم فمها بأحد يديه، وهو يكبِّل حركتها باليد الأخرى، وهي تقاوم في شراسة، فتراجع (أحمد عزيز)، قائلًا:

- بحركة واحدة، سأجرد العقرب من سلاحه الخارجي، وأضمن وسيلة مناسبة للإيقاع به، في الوقت ذاته.

غرس الرجل الأول المحقن في عروقها، و(أحمد عزيز) يبتسم، مكملًا:

- وربما لا تكون هناك حاجة لكل هذا في النهاية؛ فعقربك الآن يلقى مصرعه على الأرجح.

كان هذا آخر ما سمعته (غادة)، قبل أن تسقط في هوة عميقة...

عميقة...

بلا قرار...

***

لم تكن المنطقة، التي أوقف فيها (نديم) سيارة اللواء (مجدي) مقفرة تمامًا، وعلى الرغم من هذا، فلم يتردد أحد الرجلين، من السيارة الأخرى، في إطلاق النار عليها..

وعلى موضع السائق مباشرة...

كان يعدو نحو السيارة، عندما وثب (نديم) من خلفها فجأة، وهو يرتدي قناع (العقرب)، وانقضَّ على الرجل في رشاقة مذهلة، أخذت الرجل على حين غرة، فسقط أرضًا، وانطلقت من مسدسه رصاصة أخرى في الهواء، قبل أن يهوي (نديم) على فكِّه بلكمة كالقنبلة، أفقدته وعيه على الفور..

وكرد فعل غريزى، وثب الآخر من السيارة، وهو ينتزع مسدسه، صارخًا:

- أيُّها الـ...

قبل أن يتم عبارته، اختطف (نديم) مسدس الأول، وأطلق منه رصاصة، أصابت مسدس الثاني مباشرة، وأطاحت به بعيدًا....

تراجع الرجل بضع خطوات، ثم رأى فوهة المسدس في يد (نديم) مصوبة إليه، فاستدار عائدًا إلى السيارة...

ولكن (نديم) بدا كالفهد، وهو يثب في الهواء، وينقضُّ عليه من الخلف، ثم يجذبه من عنقه، ليسقطه أرضًا...

وعندما قاوم الرجل، واستدار بمسدسه كان (نديم) يضم قبضتيه، ويهوي بهما على أنفه مباشرة...

وانطلقت رصاصة من مسدس الرجل، ضاعت في الهواء، قبل أن يتلقى ضربة أخرى، من قبضتي (نديم) المضمومتين، فيهوي فاقدًا الوعي بدوره...

وعندما نهض (نديم)، ورفع رأسه، رأى العيون تحدِّق فيه، من نوافذ البنايات القليلة في المكان، وقد بدا فيها الرعب، ممتزجًا بالدهشة، من رؤية شخص مقنَّع، أشبه ما يكون بأفلام السينما...

ولم يتوقف (نديم) طويلًا أمام هذا، وإنَّما وثب إلى سيارة الرجلين، وانطلق بها مبتعدًا، تاركًا الرجلين خلفه فاقدي الوعي، وسيارة اللواء (مجدي)، المصابة برصاصاتهم مستقرة في مكانها، وما أن ابتعد قليلًا، حتى خلع قناع (العقرب)، ودسه في جيبه، وهو يتساءل في أعماقه:

- أين يمكن أن يذهب، في مثل هذه الظروف؟!...

أين؟!...

***

استعادت (غادة) وعيها في صعوبة، مع ذلك الثقل الشديد، الذي تشعر به في رأسها، فأغلقت عينيها وفتحتهما عدة مرات، قبل أن تتبين طبيعة المكان، الذي توجد فيه...

كان حجرة جيدة التأثيث، أشبه بحجرة فندق فاخر، ملحق بها حمام أنيق للغاية، مجهَّز بكل ما يلزم، وبها دولاب ملابس، يضم ثيابًا تناسب قياسها إلى حدٍّ مدهش...

ولكنها كانت حجرة مغلقة تمامًا...

صحيح أنَّ بها مصدرًا للتهوية الصناعية، يجعل جوها منعشًا، ولكنها بلا أية نوافذ على الإطلاق....

فقط باب من الفولاذ، يشبه أبواب السجون، به فتحة صغيرة علوية ذات قضبان فولاذية، ومغلقة من الخارج بشباك معدني صغير وفتحة أخرى في أسفل الباب، من الواضح أنَّها لإدخال الطعام...

باختصار، كانت زنزانة خمسة نجوم...

ولكنها، وفي كل الأحوال.... زنزانة...

وفي غضبٍ، هتفت (غادة):

- أين أنا بالضبط؟!

لثوانٍ، لم يأتها جواب لسؤالها، ثم فجأة، أضيئت شاشة التلفاز المعلق على الجدار، وظهرت عليها صورة (أحمد عزيز)، وهو يقول:

- اطمئني يا آنسة (غادة)... أنت ضيفتي.

قالت في حِدَّةٍ:

- في زنزانة.

ابتسم، وهو يقول:

- تسمونه في الشرطة (إجراء احترازي)... هذا لو أنَّك ما زلت تذكرين أيام عملك في حماية القانون.

قالت في تحدٍّ:

- أمثالك لا يعترفون بالقانون.

لم يبد عليه الغضب، من قولها أو أسلوبها، وهو يقول:

- أمثالي هم من يضعون القوانين، لا من يتبعونها... وهذا هو الفارق بيني وبين عقربك... كلانا يرى القانون عائقًا، ولكن الصراع بيننا هذه المرة غير متكافئ.. فأنا أضع القوانين، وهو الآن خارج عن القانون...

قالت في توتر:

- حديثك المستمر عن العقارب يـ.....

قاطعها في شراسة مفاجئة:

- من السخافة الاستمرار في هذه اللعبة يا امرأة... عقربك انكشف أمره، ولم تعد اللعبة حتى ممتعة.

صمتت (غادة) بضع لحظات، قبل أن تقول:

- إذن فلديك ملف كامل عن (العقرب).

أجابها في زهو:

- ملف لا تملكه الداخلية نفسها.

حمل صوتها رنة التحدي، وهي تقول:

- إذن فأنت تعلم أنَّه قد قهر عمالقة وأباطرة من قبلك، وأنَّه إذا ما بدأ الصراع بينكما، فأنت الخاسر في النهاية.

صمت (أحمد عزيز) بضع لحظات، وهو يتطلع إليها على الشاشة، ثم انفجر فجأة في ضحكة عالية واثقة ساخرة...

واستمر يضحك، والشاشة تخفت...

وتخفت...

وتخفت...

ومع غياب صورته، وجدت (غادة) نفسها تتساءل..

ترى هل يمكن أن ينتصر (العقرب) هذه المرة؟!...

هل؟!...

***

«(نديم)؟!...»

هتف اللواء (حلمي) بالعبارة، بكل دهشة الدنيا، عندما وجد (نديم) أمامه، داخل حجرة مكتبه، في منزله الجديد، في مدينة (الشروق)...

وبكل انفعاله، سأله:

- كيف وصلت إلى هنا؟!...

لم يحاول (نديم) إجابة سؤاله، وهو يغمغم:

- لقد بحثت عنك طويلًا، يا سيادة اللواء.

أسرع إليه اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- لواء سابق يا ولدي... لم يكن من الممكن أن أستمر في العمل، في وجود كل هذا الفساد.

رفع إليه (نديم) عينيه، في صمت وإرهاق، فتابع في حنان:

- ولكنني ما زلت أعرف كل ما يدور هناك.

كان من الواضح أن (نديم) شديد الإرهاق، وهو يسأل:

- هل تعلم أين (غادة)؟!

ربت عليه اللواء (حلمي)، في حنان أبوي، وهو يقول:

- إنَّني أعلم الكثير من الأمور يا ولدي، ولكنك تحتاج إلى بعض النوم والراحة أولًا.

غمغم (نديم):

- لهذا أتيت إليك.

قال اللواء (حلمي):

- توقعت شيئًا كهذا... وما دمتَ توقعته، فهم أيضًا سيتوقعونه، ولهذا فوجودك هنا ليس آمنًا.

لم يعلق (نديم) على عبارته، وهو يحاول فتح عينيه في صعوبة، فاتجه اللواء (حلمي) نحو مكتب صغير، وأخرج منه سلسلة مفاتيح، وهو يقول:

- من حسن حظك أن ابنتي وزوجها لن يعودا قبل أسبوع أو أسبوعين، ولقد أعطياني مفتاح فيلتهما الصغيرة، وهي مجهزة بكل ما يلزم، ولا أحد يعلم عنها شيئًا... سأنقلك إلى هناك؛ لتحظى ببعض النوم والراحة، وبوجبة ساخنة، تسترد معها عافيتك، وبعدها....

قاطعه (نديم)، في إرهاق وتوتر:

- ماذا فعلوا بـ(غادة)؟!

صمت اللواء (حلمي) لحظات، ثم قال:

- (مجدي) أخبرني أنَّه تم نقلها إلى مستشفى خاص؛ لعلاج إصابة رأسها، إلا أنَّها اختفت، و...

قاطعه (نديم) مرة أخرى في توتر:

- اختفت؟!...

ثم نهض من مقعده، مستطردًا في غضب:

- بل اختطفوها على الأرجح.... كنتُ أعلم أن رجلًا مثل (أحمد عزيز)، لن يتورع عن هذا.

حاول اللواء (حلمي) تهدئته، وهو يقول:

- ليس هناك دليل واحد على هذا... ربما غادرت بإرادتها، أو...

قاطعه (نديم) بإشارة من يده، وهو يقول:

- ليس بإرادتها... لدينا إشارة متفق عليها بيننا... رسالة نصية قصيرة، عبر الهاتف المحمول، تخبرني فيها أنَّها حرة، وهي لم ترسلها حتى الآن.

تردد اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- ربما فقدت هاتفها.

هزَّ (نديم) رأسه نفيًا، وقال:

- يمكنها إرسالها من أي هاتف.

امتقع وجه اللواء (حلمي)، وهو يغمغم:

- إذن فهي في خطر حقيقي.

أشار (نديم) بيده، قائلًا:

- لقد احتجزها (أحمد عزيز) حتمًا؛ ليجبرني على الظهور، وخاصة بعد أن حطمت أنف رجليه، اللذين أرسلهما لقتلي.

انعقد حاجبا اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- (أحمد عزيز) لا يشبه من واجهتهم من قبل يا (نديم)... حتى (العقرب)، لن يجد سبيلًا للوصول إليه.

صمت (نديم) لحظات، ثم قال في حزمٍ:

- لا يوجد شخص منيع إلى هذا الحد.

رفع اللواء (حلمي) سبابته، وهو يقول محذرًا:

- (أحمد عزيز) هو عمليًا، الرجل الثاني في الدولة، ويستطيع تجنيد كل إمكانيات الدولة ضدك، باعتبارك خارجًا عن القانون.

قال (نديم) في تفكير عميق:

- ربما هنا تكمن نقطة ضعفه.

بدا التساؤل في عينى اللواء (حلمي)، ولكن (نديم) تابع في اهتمام:

- هل يمكنك أن ترشدني إلى كل المعلومات، عن (أحمد عزيز)، وشركاته وممتلكاته.

مال اللواء (حلمي) نحوه، قائلًا:

- بالطبع يمكنني هذا، ولكن (أحمد عزيز) ليس مجرد شركات وممتلكات... إنَّه قوة سياسية لا يستهان بها.

أشار (نديم) بيده، قائلًا:

- قديمًا، قالت والدتي، رحمها الله، أنَّه كلما علا شأن شخص ما، كان سقوطه مدويًا.

قال اللواء (حلمي):

- المهم أن تجد السبيل لسقوطه.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفعت أصوات أبواق سيارات شرطة، تحيط بالمنطقة، وانعكس ذلك الضوء الأزرق والأبيض على النوافذ، وارتفع في الوقت ذاته صوت طرقات قوية، على باب المنزل...

وفي توتر بالغ، غمغم اللواء (حلمي):

- لقد أتوا.

ولم يحر (نديم) جوابًا...

أي جواب.

***

## -٤-

# حصار

رفع (أحمد عزيز) عينه في لامبالاة؛ ليلقي نظرة على وزير الداخلية، الذي يلقبونه بأنه أقوى رجل في (مصر)، وهو يدلف إلى مكتبه في مقر الحزب، وضغط زرًّا في لوحة أزرار جهاز الكمبيوتر أمامه، وهو يشيح بنظره عن الوزير، قائلًا في لهجة جافة:

- أهلًا... ليس من المعتاد أن نراك هنا.

بدا وزير الداخلية شديد التوتر، وهو يقول:

- يتردد أنَّك تحتجز زميلة ذلك المحامي.

بدا (أحمد عزيز) أكثر برودًا ولامبالاة، وهو يقول:

- أي محام؟!

ارتسم الغضب، على وجه وزير الداخلية، وهو يقول في توتر:

- لاحظ أنَّك تتحدث مع وزير الداخلية.

ضاقت عينا (أحمد عزيز)، وهو يقول في صرامة، أقل ما توصف به، هو أنَّها شرسة:

- يبدو أنَّك أنت لم تلاحظ، أنَّك تتحدث إلى الرجل، الذي يمكنه إقالة وزير الداخلية، بمحادثة هاتفية واحدة.

تراجع وزير الداخلية في سرعة، وهو يقول، على نحو أكثر توترًا:

- هذه المرة تختلف... قديمًا كان رجالك يحرصون، على ألا يتركوا خلفهم ما يرشد إليهم... أو إليك... أما هذه المرة، فهم يتجاوزون كل عرف وقانون.

سأله في شراسة:

- أي قانون؟!

تراجع وزير الداخلية، وهو يغمغم في دهشة:

- قانون الدولة.

ضرب (أحمد عزيز) سطح مكتبه بكل قوته، وهو يصرخ:

- أنا هنا القانون.

تراجع الوزير في دهشة أكبر، وخاصة عندما اندفع الحرس الخاص لـ(أحمد عزيز)، إلى مكتب هذا الأخير، إثر صراخه، فأشار إليهم بالانصراف، وهو يكمل:

- القانون يسنه مجلس الشعب... وأنا أختار مجلس الشعب... إذن فأنا القانون... هل تستوعب هذا؟!...

غمغم وزير الداخلية في عصبية:

- البلد يغلي، والبعض يقول إنَّه على وشك الثورة.

هتف (أحمد عزيز) في استهزاء:

- ثورة؟!

ثم مال على سطح مكتبه، وهو يضيف في حزمٍ واثق:

- لقد خبرنا هذا الشعب طويلًا، وتوصلنا إلى القاعدة الذهبية.

بدا الترقب على وجه وزير الداخلية، في انتظار سماع تلك القاعدة الذهبية، فصمت (أحمد عزيز) لحظات، ربما ليمنح التأثير المطلوب، قبل أن يكمل بمنتهى الحزم:

- الشعب المصري لا يثور.

قالها، ثم اعتدل، وبدا وكأنَّه قد محا في لحظة كل انفعالاته السابقة، مع قوله في صرامة:

- تجاهل أمر تلك المحامية الشابة، وأطلِق رجالك كلهم؛ لاقتناص ذلك الأحمق ذي القناع.

وانعقد حاجباه في شدة، وهو يضيف:

- اثبت له أنَّنا لسنا في فيلم من أفلام (ديزني).

وفي هذه المرة، لم ينطق وزير الداخلية بحرف واحد، مع ذلك الشعور العجيب، الذي ملأ نفسه...

شعور أقوى رجل في مصر بالضعف..

كل الضعف..

***



«ماذا هناك يا ولدي؟!...»...

تثاءب اللواء (حلمي)، وهو يلقي السؤال على ضابط الشرطة، الذي طرق بابه، في هذه الساعة المتأخرة، فارتبك الضابط، وهو يقول:

- معذرة يا سيادة اللواء.

ابتسم اللواء (حلمي)، مغمغمًا:

- سابقًا يا ولدي... سابقًا.

أومأ الضابط برأسه في احترام، قائلًا:

- ما زلتَ أستاذنا، الذي ندين له بالفضل، بعد الله سبحانه وتعالى، يا سيادة اللواء، ولكننا كنا نبحث عن (نديم فوزي)، ويقول الخبراء إنَّه من المحتمل أن يلجأ إليك.

رسم اللواء (حلمي) الدهشة على ملامحه، وهو يقول:

- (نديم فوزي)؟!... زميلكم السابق؟!... لماذا؟!... ماذا فعل (نديم)؟!

مال الضابط برأسه، ليلقي نظرة على المنزل، من خلف كتف اللواء (حلمي)، وهو يجيب:

- لستُ أدري ما تهمته بالضبط يا سيدي، ولكن صدر أمر باعتقاله، وسيادة وزير الداخلية شخصيًا مهتم بالعثور عليه.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه، في دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- الوزير شخصيًّا؟!

ثم أفسح الطريق، قائلًا:

- وتتصورون أنَّه ربما لجأ إليَّ؟!... فليكن... قم بواجبك يا ولدي، ومر جنودك بتفتيش المنزل.

تردَّد الضابط في ارتباك، وهو يغمغم:

- تكفيني كلمتك، يا سيادة اللواء.

بدا اللواء (حلمي) صارمًا، وهو يقول:

- قم بواجبك يا ولدي.

تردَّد الضابط لحظات أخرى، ثم التفت إلى جنوده، قائلًا:

- أريد تفتيش المكان في سرعة ودقة، وإياكم أن تمسوا شيئًا.

اندفع الرجال داخل المنزل، ووقف اللواء (حلمي)، مرتكنًا

إلى مكتبة كبيرة، يتابع عملهم في هدوء، حتى عادوا يتجمعون أمام الباب، وأحدهم يؤدي التحية للضابط، قائلًا:

- ليس هنا يا سيدي.

غمغم الضابط:

- كما توقعت.

والتفت يؤدي التحية بدوره للواء (حلمي)، قائلًا:

- معذرة يا سيادة اللواء... لم أرد هذا حقًّا... كانت ستكفيني كلمتك.

غمغم اللواء (حلمي):

- لقد قمتَ بواجبك.

وما أن انصرف الضابط والجنود، وأغلق الباب خلفهم، حتى تمتم:

- كان من المستحيل أن أعطيك كلمتي، وأنا أعلم أنَّه هنا.

ثم التفت إلى المكتبة، التي يرتكن إليها، مكملًا بابتسامة:

- أليس كذلك يا (نديم)؟!

لم يتلق جوابًا، فانعقد حاجباه في شدة، والتفت نحو المكتبة، مكررًا في قلق:

- (نديم).



أزاح ضلفة ذات نقوش أنيقة، في الجزء السفلي من المكتبة، حيث اختبأ (نديم)، و...

وتراجع في حركة حادة...

فعلى الرغم من أنَّه قد أغلق الضلفة عليه بنفسه، قبل أن يفتح الباب للشرطة، لم يكن هناك أثر لـ(نديم) خلفها بعد انصرافهم...

أي أثر!!...

***

طرقت (غادة) باب تلك الزنزانة في حِدَّةٍ، وهي تهتف:

- أريد مقابلة (أحمد عزيز)... فورًا.

أزاح أحدهم من الخارج، تلك النافذة المعدنية في أعلى الباب، وأطلَّ من خلف قضبانها بوجهه القبيح، وهو يقول في خشونة:

- ماذا تريدين؟!

أجابت في حِدَّةٍ:

- لقد سمعتني... أريد مقابلة (أحمد عزيز).

زمجر، قائلًا:

- لا أحد يطلب مقابلة الباشا... الباشا وحده يقرر متى وأين وكيف يقابل مَن يشاء.

مالت نحو النافذة، قائلة في تحدٍّ:

- وهل سيقابل الله (عز وجل) وقتما يشاء أيضًا؟!

بدت ملامح الرجل أشبه بوحش كاسر، وهو يقول:

- تحتاجين إلى درس في الأدب.

تراجعت عن الباب، واتخذت وقفة صارمة، وهي تقول متحدية:

- لماذا لا تأتي إذن، وتلقنني إياه.

قال في شراسة:

- ربما أفعل.

ثم تراجع في سرعة، مستدركًا:

- بعد استئذان الباشا.

شعرت بخيبة أمل لإجابته...

لقد كانت تتوقع أن تستفزه بقولها، وتدفعه لفتح الباب؛ حتى تنقض عليه، وتستعيد معه بعض دروس الرياضات القتالية، التي برعت فيها، إبان عملها بالشرطة.

وكمحاولة أخيرة لبلوغ هذا، قالت متحدية:

- أتخشى مواجهة امرأة؟!

زمجر مرة أخرى، وأجاب في عصبية خشنة:

- بل أخشى مواجهة الباشا، لو علم.

مع آخر حروف كلماته، انبعث صوت من جهاز اللاسلكي الكبير الذي يحمله، يقول صاحبه في توتر:

- هناك دلائل على وجود دخيل.

وارتجف جسد (غادة)، عندما سمعت العبارة....

دخيل؟!.... أيمكن أن يعني هذا أن (نديم) قد اهتدى إلى مكانها؟!..

أمن الممكن أن يكون هو؟!...

سمعت ذلك الغليظ يبتعد عن الباب، ناسيًا أن يغلق نافذته المعدنية، وهو يقول، عبر جهاز اللاسلكي:

- قم بكل الإجراءات المطلوبة... أطلق الكلاب في الحديقة، وأوصل التيار الكهربائي للأسوار، ومر الرجال كلهم باتخاذ مواقعهم... أنت تعرف الأوامر جيدًا... إطلاق النار دون إنذار، على أي دخيل... هل تسمعني جيدًا... دون إنذار.

وارتجف قلب (غادة) هذه المرة...

إنَّه حصار كامل، يستحيل أن ينجو منه أي دخيل...

لحظتها، وعلى الرغم من لهفتها، فقد تمنت ألا يكون ذلك الدخيل هو (نديم)...

تمنت هذا، من كل قلبها...

أو من كل خلية فيه...

بلا استثناء...

***

كان من الواضح جدًّا، مما حدث في تلك الفيلا، التي يحتفظ فيها (أحمد عزيز) بـ(غادة)، أنَّه بما له من سلطة ونفوذ، وبما يملكه من ثروات طائلة، قد انتقى أفضل عناصر الأمن السابقين، ممن يملكون خبرة كبيرة، وقدرًا هائلًا من الحنكة، مع قدر ضئيل من المبادئ، وزودهم بأحدث ما يمكن أن يشتريه المال من تكنولوجيا؛ لحماية هذه الفيلا بالذات...

الفيلا الوحيدة، التي لم يسجلها رسميًّا باسمه، والتي يحتفظ فيها بكل وثائقه الخاصة، وكل مستندات ذات الأهمية البالغة...

لم يكد أحدٌ، حتى ممن يحرسون الفيلا، يدرك ما تحويه، ولا أين يخفيه (أحمد عزيز) بالضبط...

بل لم يكن شخص واحد، في الوجود كله، يمكن أن يدرك،

أو يعرف...

فهذه قاعدة (أحمد عزيز) الذهبية...

«لا تثق في مخلوق حي، فإذا ما تجاوز السر لسانك، لا يعود سرًّا»...

ولكن طاقم الأمن لم يكن يفكر حتى فيما تحويه الفيلا...

إنَّهم يتلقون مرتبات باهظة، لم يحلموا بها يومًا، ليس ليعلموا ماذا هناك، ولكن ليحموا فقط كل ما هناك...

ولقد كانت لديهم إمكانيات، لم يحصلوا على مثلها، حتى عندما كانوا يعملون في أجهزة أمنهم، التي يفترض أنَّها الأكثر تطورًا...

وعندما تم الإبلاغ عن احتمال وجود دخيل، تم تفعيل كل الوسائل دفعة واحدة...

كهربة الأسوار...

تشغيل أجهزة الرؤية الليلية، والرصد الحراري...

تشغيل مجسات الحركة...

إطلاق كلاب الحراسة الشرسة، المدربة على كشف الدخلاء ومهاجمتهم...

توزيع القناصة على أسقف الفيلا ونوافذها...

إغلاق القبو، الذي تم حجز (غادة) فيه، بحاجز فولاذي مزدوج...

كان حصارًا أمنيًّا كاملًا...

بكل معنى الكلمة...

أما الرجال أنفسهم، فقد تحفَّزت كل خلية في أجسادهم...

وتحفَّزت سباباتهم، على أزندة مسدساتهم...

وراحت الدقائق تمضي، والكل متحفز...

دقائق توالت، وكأنَّها ساعات، وساعات مرت، وكأنَّها أيام وشهور، حتى قال قائد الحراسة في حِدَّةٍ:

- من أعطى الإنذار بوجود دخيل؟!

أجابه أحد الرجال في توتر:

- جهاز كشف الحركة أشار إلى....

قاطعه قائد الحراسة في غضب:

- جهاز كشف الحركة؟!... الجهاز الذي يمكن لقط يعدو، أن يقوم بتشغيله؟!... ألم يكن لديك أي تأكيد بصري يا رجل؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا في قلق، فصاح به:

- أتعني أنَّنا هنا منذ ساعتين؛ لخطأ في جهاز كشف الحركة فحسب؟!

أشار الرجل بسبابته، قائلًا في توتر:

- الأوامر أن نتحرك بمجرد الشك، و...

استوقفته نظرة صارمة من قائد الحراسة، فبتر عبارته، وخفض عينيه، وهو يغمغم:

- في المرة القادمة سأنتظر تأكيدًا بصريًّا.

رمقه قائد الحراسة بنظرة قاسية متوعدة، ثم أشار إلى رجل آخر، قائلًا في عصبية:

- سنلغي حالة التأهب، فقد أوشك الفجر أن ينبلج... ربما نحظى بقليل من النوم، قبل أن يمضي الليل.

فتثاءب الرجل الآخر في إرهاق، وقال:

- كما تأمر أيُّها القائد.

مطَّ قائد الحراسة شفتيه في ضيق، والتقط هاتفه المحمول، ليرسل عبره رسالة قصيرة، لم تكد تصل إلى مستقبلها، حتى ارتفع رنين هاتف قائد الحرس، الذي ضغط زر الاستماع في سرعة، وهو يقول:

- إنذار خاطئ يا باشا... مجرد خلل في جهاز كشف الحركة.

قال (أحمد عزيز)، عبر الهاتف في صرامة:

- لا يمكنني أن أقنع بتفسير كهذا... أنا رجل اعتاد الشك في كل شيء، وعدم ترك لمحة واحدة للاحتمال...

شدَّ قائد الحراسة جسده في توتر، قائلًا:

- وبم تأمر يا باشا؟!

أجابه بلهجة آمرة صارمة:

- أبقِ على التيار الكهربائي، في أسوار الفيلا، وأرسل فريقين من الرجال، فريق لحراسة بوابة الفيلا، والآخر لتفتيش كل ركن من حديقتها، وكل حجرة من حجراتها.

أجابه بلهجة عسكرية:

- عُلم ويُنفَّذ.

قال (أحمد عزيز) بنفس اللهجة:

- قبل أول ضوء للشروق، أريد تقريرًا مفصلًا بالموقف.

قال قائد الحراسة:

- ربما قبل هذا أيضًا يا باشا.

تابع (أحمد عزيز)، وكأنَّه لم يسمعه:

- وبعدها أريد طاقم حراسة دائم، على مدخل القبو، وكل مَن يدخله أو يخرج منه، يخضع للتفتيش الدقيق، حتى لو كان أكثر من تثق فيه من رجالك.

تردد قائد الحراسة لحظة، قبل أن يقول في حذر:

- ألن يكون هذا مبالغًا بعض الشيء؟!

صاح به (أحمد عزيز) في شراسة:

- نفذ الأوامر بلا مناقشة.

انعقد حاجبا الرجل في ضيق، وهو يقول:

- كما تأمر يا باشا.

أنهى الاتصال، وأضاف في حنق:

- لماذا وظفتنا إذن، ما دمتَ من سيضع الخطة الأمنية.

أتاه صوت يقول:

- ربما لأنَّكم فاشلون.

انتفض جسد الرجل في عنف، خاصة وأنَّ ذلك الصوت قد أتاه من أعلى، وسحب مسدسه في حركة سريعة، وهو يرفع رأسه إلى السقف...

وكان الانقضاض عنيفًا للغاية، ولكن آخر ما رآه قائد الحراسة، كان قناعًا...

قناع العقرب.

***

-٥-

# الثعلب

ارتفع حاجبا (فؤاد ثعلب)، المحامي الشهير، في دهشة بالغة، عندما فوجئ باللواء (مجدي) أمامه، في تلك الساعة، التي أوشك فيها الفجر على الانبلاج، فحدَّق فيه غير مصدقٍ، في حين بدا اللواء (مجدي) شديد الهدوء، وهو يقول:

- كنتُ أعلم أنَّك تواصل عملك دومًا، حتى مطلع الفجر.

ازدرد (فؤاد) لعابه، قبل أن يقول في شيء من الصرامة:

- ولكن هذا لا يعطيك الحق، في أن...

قاطعه (مجدي)، في صرامة مفاجئة:

- أين (غادة)؟!

حدَّق فيه (فؤاد)، في دهشة أكبر، وهو يغمغم:

- (غادة) من؟!

دفعه (مجدي) داخل مكتبه، وأغلق الباب خلفه، وهو يقول:

- من سوء حظك أنَّك تصرف العاملين في مكتبك، عندما تعمل فيه، في قلب الليل، وكأنَّك لا تريد أن يشاركك أحد ظلماتك.

هتف (فؤاد)، في حِدَّةٍ عصبية:

- ألا تعرف من أنا أيُّها اللواء؟!

امتزجت صرامة (مجدي) بشيء من السخرية، وهو يجيب:

- دعني أسترجع ما أذكره من ملفك... نعم.. أنت (فؤاد ثعلب)، أقذر محام في (مصر) كلها، والذي لا يقل المبلغ الذي يتقاضاه، عند دفاعه عن أحد الفاسدين، عن ستة أصفار.

قالها، وهو يدفع (فؤاد) أمامه، فصاح هذا الأخير، في عصبية أكثر، حاوَل أن يخفي بها خوفه:

- عملائي كلهم من علية القوم، وبعضهم يضع رجال أمنه لحراسة مكتبي، وصرخة واحدة أطلقها، ستجلب جيشًا من الحرس الخاص إلى هنا، و...

قاطعه (مجدي) مرة أخرى، وهو ينتزع مسدسه، ويجذب مشطه في حزمٍ:

- كم أتوق إلى هذا... إلا أنَّني أتساءل: أي صوت سيكون أعلى؟!... صرختك، أم دوي رصاصة مسدسي؟!...

وألصق فوهة المسدس بجبهة (فؤاد)، مضيفًا بكل الصرامة:

- وأيهما سيسبق الآخر؟!

ارتجف جسد (فؤاد ثعلب)، مع ملمس الفوهة الباردة، وبدا صوته مرتجفًا، وهو يقول:

- هل تدرك ما تفعله أيُّها اللواء؟!

هزَّ (مجدي) كتفيه، قائلًا:

- المشكلة أنَّني لا أدركه فحسب، ولكنني أستمتع به أيضًا، على نحو فاق كل ما شعرت به، في حياتي كلها.. الآن فقط أدركت سر ما كان يفعله (العقرب)، طوال كل تلك السنوات.

ارتجف (فؤاد)، على الرغم من محاولته التماسك، وهو يقول:

- إنَّني المحامي الخاص بأقوى رجل في (مصر).... (أحمد عزيز)... هل تعلم ما الذي يمكن أن يفعله لو علم بموقفك هذا؟!

هزَّ (مجدي) كتفيه مرة أخرى، مجيبًا:

- الوزير أخبرني صراحة اليوم، أنَّه لا ينوي مد فترة خدمتي، في حركة الضباط القادمة، وهذا أراحني بأكثر مما أزعجني في الواقع؛ فقد أنبأني بأنَّه لم يعد لدي ما أخسره.

غمغم (فؤاد) مرتجفًا:

- مع (أحمد عزيز)، ستخسر كل شيء.

بدت ابتسامة عجيبة، على وجه (مجدي)، وهو يقول:

- من الواضح أنَّك لم تفهمني.

ثم مال نحوه بشدة، وألصق فوهة مسدسه أكثر بجبهته، مستطردًا في صرامة قاسية:

- كل هذا لم يعد يعنيني.

اتسعت عينا (فؤاد) عن آخرهما، وعجز لسانه عن النطق، في حين بدا صوت (مجدي) مخيفًا، وهو يقول:

- والآن، فلنعد إلى السؤال الأول: أين يحتفظ سيدك الحقير هذا بالمحامية (غادة)؟!

وفي هذه المرة، ارتجف جسد (فؤاد ثعلب) كله...

وبمنتهى القوة...

***

شعرت (غادة) بتوتر ما بعده توتر، مع الحركة التي تشعر بها في الخارج، وإدراكها أنَّ الأمر حتمًا يتعلق بـ(نديم)...

كانت واثقة من أنَّه سيسعى إلى إنقاذها، مهما كلفه هذا...

وأيًّا كان الثمن...

وهذا أكثر ما يقلقها...

فالخصم هذه المرة يختلف...

إنَّه ليس زعيمًا إجراميًّا، أو إمبراطور عصابات قوي....

إنَّه (أحمد عزيز)...

الرجل الثاني في (مصر)...

الرجل الذي يملك كل السلطات...

وكل الإمكانيات...

ومواجهته أشبه بمواجهة دولة...

وهذا يعني أن (نديم)، حتى لو ارتدى قناع (العقرب)، يخوض أعنف وأشرس مواجهة في حياته كلها...

إنَّه عقرب واحد... في مواجهة دولة...

في نفس اللحظة، التي دارت فيها هذه الأفكار في رأسها، كان (نديم) يجثم فوق صدر قائد الحراسة، في فيلا (أحمد عزيز)، والذي أفقده الوعي، وهو يكتم أنفاسه نسبيًّا؛ حتى يطمئن إلى أن أحدًا لم ينتبه إلى الأمر...

كان قد بنى خطته على أنَّه ما من نظام أمني منيع بنسبة مائة في المائة، وأنَّه وعلى الرغم من أنَّ (أحمد عزيز) قد أحاط فيلته، كمعظم عقاراته، بكل وسائل الحماية الإلكترونية، وبعدد كبير من حراس الأمن، إلا أنَّ غروره سيجعل اعتماده الرئيسي على قوته، وخوف الناس منه، بأكثر مما سيعتمد على وسائل الأمن...

حتى رجال أمنه أنفسهم، سيتغلغل في أعماقهم الشعور نفسه...

أنَّه لا أحد سيجرؤ على اقتحام فيلا مملوكة لثاني رجل في (مصر)...

ولهذا فقد تعاملوا من هذا المنطلق...

حتى عندما طالبهم (أحمد عزيز) نفسه، بالمزيد من الانتباه، لم يستطيعوا التخلي عن غطرسة الإحساس بالقوة...

كانوا يتصورون دومًا أنَّهم الأعلى، وأنَّ الشعب كله أسفلهم...

ولهذا كانوا ينظرون دومًا إلى الأسفل...

إلى أسوار الفيلا...

وليس إلى سطحها....

بتر أفكاره صوت شخص يتحرك نحوه، فاعتدل في سرعة، وجذب جسد قائد الحراسة إلى جانب الحائط، ثم التصق بالجدار، يرصد وقع الأقدام الذي يقترب...

ويقترب...

و...

فجأة، برز ذلك الرجل أمامه...

عملاق ضخم الجثة، أشعث الشعر، غليظ الملامح، مفتول العضلات...

كان يفوقه حجمًا بمرتين على الأقل....

وكان يحمل مدفعًا آليًا قصيرًا...

ولم يكن هو يحمل سلاحًا...

أي سلاح...

إلا أنَّه، وعلى الرغم من هذا، كان يمتلك مزية رائعة...

المفاجأة...

لقد بوغت العملاق برؤيته، فتراجع خطوة ذاهلة إلى الوراء، مع مرأى القناع الأسود...

ودون إضاعة ثانية واحدة، بادره (نديم) بكلمة كالقنبلة، في أنفه مباشرة، ثم وثب يلاحق تراجعه، بلكمة أشد قوة في أسنانه، وركلة أطاحت بمدفعه الآلي القصير...

وعلى الرغم من عنف اللكمتين، أطلق العملاق خوارًا كالثور، وتجاهل الدماء التي تنزف في غزارة، من أنفه وفمه، وانقضَّ على (نديم)...

كان أكثر قوة...

ولكن (نديم) أكثر رشاقة..

لذا فقد تفادى الانقضاضة بوثبة جانبية مرنة، ولكم العملاق في معدته، بكل ما يملك من قوة وبأس..

ومرة أخرى، انطلق ذلك الخوار، قبل أن يقبض العملاق على وسط (نديم)، ويرفعه عن الأرض في قوة، وكأنَّه يحمل طفلًا صغيرًا...

ثم ألقاه نحو الجدار...

وبكل قوته...

وكان الارتطام بالجدار مؤلمًا بحق، شعر معه (نديم) وكأنَّ كل عظمة في جسده قد صرخت من فرط الألم...

ورأى العملاق ينقض عليه في غضب، فدفع نفسه جانبًا، ودار حول جسده في سرعة، ولكن العملاق أمسك ساقه، وجذبه إليه في قوة، وضربه مرة أخرى بالجدار...

في هذه المرة، شعر (نديم) أنَّه يوشك على فقدان الوعي، وأدرك أنَّ العملاق سينقض عليه مرة ثالثة...

وفي هذه المرة، لن يتوانى عن قتله...

وبلا رحمة...

ومن طرف عينيه، لمح ذلك المدفع الآلي القصير، على قيد مترين منه، فاستنفر كل قواه، ودفع جسده نحوه...

وفي هذه المرة، أمسك العملاق عنقه من الخلف بكفيه، وهو يقول في غضب:

- أراهنك أن أحدًا لن يشعر بـ...

قبل أن يتم عبارته، دارت يد (نديم)، لتضربه بالمدفع القصير في وجهه مباشرة...

وعلى الرغم من قوة العملاق وبأسه، كانت الضربة من العنف، حتى أنَّها أرخت قبضتيه عن عنق (نديم)...

وكان هذا يكفي...

لقد انزلق (نديم)، مفلتًا عنقه من قبضتيه، ثم هوى على رأسه بذلك المدفع مرة ثانية...

وثالثة..

ورابعة...

ومع الدماء التي تفجرت من رأس العملاق، وامتزجت

بدماء أنفه المكسور، وأسنانه المحطمة، جحظت عينا الرجل، ودارتا في محجريهما...

ثم هوى...

ودون أن ينتظر لحظة واحدة، تحرَّك (نديم) في سرعة، حاملًا ذلك المدفع الآلي القصير، باحثًا عن المكان، الذي يمكن أن يحتفظوا فيه بزميلته (غادة)...

لم يكن الأمر سهلًا، في فيلا كبيرة، احتشدت برجال الأمن...

ولكن لم يكن هناك مجال للتراجع...

أي مجال...

في نفس اللحظة، كانت (غادة) تتحرك في عصبية، في محبسها الفاخر...

شيء ما أنبأها بأن (نديم) هنا...

على مقربة منها...

ولم تدرِ حتى لماذا راودها هذا الشعور!!...

ولكنها... ولسبب ما، كانت واثقة من شعورها بشدة...

ودون مقدمات، أضيئت فجأة تلك الشاشة الكبيرة، وظهر عليها وجه (أحمد عزيز)، يبتسم في زهو وثقة، قائلًا:

- أظن أن فترة احتجازنا لك قد شارفت نهايتها أيتها الحسناء.

التفتت إلى الشاشة في حركة حادة، قائلة في عصبية:

- وما الذي يُفترض أن يعنيه هذا؟!

لوح بيده، في حركة مسرحية مزهوة، وهو يجيب:

- كنا نحتجزك، حتى نجبر عقربك على الظهور فحسب.

قالت في عصبية، وذلك القلق يتصاعد في أعماقها:

- لستُ أظنه من الحماقة، بحيث يلقي بنفسه بين أيديكم.

أطلق (أحمد عزيز) ضحكة ساخرة طويلة، قبل أن يقول:

- من الواضح أنَّك لا تعرفين عقربك جيدًا.

ثم مال نحو الشاشة، مستطردًا في سخرية:

- كنتُ أظنكما حبيبين، وليس مجرد زميلين.

ازدردت لعابها في صعوبة، دون أن تقول شيئًا، فاعتدل هو، وقال في صرامة:

- من سوء حظك وحظه، أنَّني رجل شديد الشك، ولا أمنح ثقتي لأي مخلوق حي، ولهذا، وعلى الرغم من كل رجال حراسة الفيلا، فقد زرعت في كل ركن فيها كاميرات خفية دقيقة، لا يدركون هم أنفسهم وجودها.

وما بحركة واحدة نحو الشاشة لتمتزج صرامته بسخريته، وهو يضيف:

- ولهذا حصلت على تسجيل ممتع.

اختفت صورته من الشاشة دفعة واحدة، وحملت فيلمًا، تم تصويره من مكان مرتفع؛ لقتال (نديم) مع ذلك العملاق...

وشهقت (غادة) في ارتياع...

ومع شهقتها، اختفى الفيلم عن الشاشة، وعاد وجه (أحمد عزيز) إليها، وهو يقول:

- تستطيعين أن تقولي وداعًا لعقربك يا حسنائي، فقبل أول ضوء للنهار، سأكون قد سحقته سحقًا.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، مضيفًا:

- حتى التاريخ، لن يذكر عنه شيئًا....

قالها، وأطلق ضحكة ساخرة ظافرة عالية، وصورته تتلاشى عن الشاشة تدريجيًا، في حين هوى قلب (غادة) بين قدميها...

بمنتهى العنف....

***

«أقسم أنَّني لستُ أعلم شيئًا...»...

نطقها (فؤاد ثعلب)، وهو يرتجف على نحو عجيب، في حين بدا اللواء (مجدي) شديد الهدوء، إلى حدٍّ مخيفٍ، وهو يقول:

- أمن المفترض أن أصدق هذا؟!... إنَّك المحامي الخاص بـ(أحمد عزيز)، ولا ريب في أنَّك تعلم عنه كل شيء.

لوح (فؤاد) بذراعيه في شدة، هاتفًا:

- ما يخص قضاياه فحسب...

تلاعب اللواء (مجدي) بمسدسه، قائلًا بنفس الهدوء المخيف:

- حقًّا؟!...

هتف (فؤاد)، وحلقه الجاف يعوق كلماته:

- إنَّك لا تعرف (أحمد عزيز)... إنَّه رجل لا يمنح ثقته لأي مخلوق... الشك يمتزج بخلاياه، ويسري في عروقه مسرى الدم.

غمغم (مجدي) ساخرًا:

- هذا لو أنَّ عروقه يسري فيها دم بشري مثلنا.

بدا (فؤاد) منهارًا، وهو يقول:

- (أحمد عزيز) ثاني أقوى رجل في الدولة، من الناحية النظرية، ولكنه أقوى رجل في الدولة، من الناحية العملية... إنَّه يسيطر تمامًا على كل شيء... حتى الرئيس وولديه... كلهم يستمعون إليه، ويثقون في نصائحه وخياراته... ولكي يحافظ على هذه المكانة، فهو لا يثق في مخلوق واحد.

قال (مجدي) في صرامة:

- ولكن هناك مكان حتمًا، يحفظ فيه أدق أسراره.

أجابه (فؤاد)، في صوت مرتجف مبحوح:

- تلافيف مخه وحدها، وربما...

بتر عبارته دفعة واحدة، في ذعر ملحوظ، فابتسم (مجدي) في ظفر، ومال نحوه قائلًا:

- وربما تلك الفيلا الصغيرة القديمة، المطلة على النيل... أليس كذلك؟!

كان صوت (فؤاد ثعلب) أشبه بالبكاء، وهو يغمغم مرتجفًا:

- أنا لم أخبرك شيئًا.

أخرج (مجدي) من جيبه جهازًا رقميًا صغيرًا، وهو يتراجع، قائلًا:

- بل أخبرتني كل شيء.

ضغط زرًا صغيرًا في جانب الجهاز، فانبعث منه صوت

(فؤاد) واضحًا، في تسجيل لكل ما دار بينهما، فاتسعت عينا (فؤاد) في ذعرٍ كبيرٍ، وهو يهتف بصوت مختنقٍ:

- سيقتلني لو علم.

هزَّ (مجدي) كتفيه، وهو يعيد مسدسه، وذلك الجهاز الرقمي إلى جيبه، قائلًا:

- لن يعلم... لو حافظ كلانا على سرية هذا اللقاء.

انهار (فؤاد ثعلب)، وهو يقول:

- لن أخبره... أقسم أنَّني لن أخبره.

ابتسم (مجدي) في سخرية مزدرية، واتجه نحو الباب، وهو يقول، دون أن يلتفت إلى (فؤاد):

- تمالك نفسك يا هذا؛ فكل الشواهد تؤكِّد أن أيام (أحمد عزيز) شارفت نهايتها.

وصفق الباب خلفه...

في قوة....

***

لا ريب في أنَّ أطقم الحراسة، في فيلا (أحمد عزيز)، كانوا مرهقين للغاية...

أو أن اقتراب الفجر، قد أصابهم بذلك التراخي التلقائي، الذي يصيب كل من لم ينعم بالنوم ليلًا...

لقد كانت الفيلا تبدو وكأنَّها خالية، حتى أنَّ (نديم) استطاع التجول في معظم ممراتها، دون أن يعترضه أحد...

وفي حذرٍ، هبط إلى الطابق الأرضي، وهو يتساءل: أين يمكن أن يحتجزوا (غادة)؟!..

أين؟!...

كان يتحرك في خفة شديدة، عندما لمح مدخل القبو، أسفل السلم الذي يقود إلى الطابق العلوي، فتوقف يدرس موقفه جيدًا...

الفيلا قديمة الطراز نسبيًا، على الرغم من التجديدات الواضحة فيها...

وفي مثل هذا الطراز، يوجد قبو كبير، يحتل مساحة الفيلا كلها، ويحوي عدة حجرات...

هذا هو المكان الأمثل، للاحتفاظ بزميلته (غادة) واحتجازها...

ألقى نظرة على ساعة يده، وتساءل في قلقٍ: كيف يمكن أن يخلو الطابق الأرضي من أطقم الحراسة على هذا النحو؟!...

التفسير الوحيد، الذي جال بذهنه، هو أنَّ أحدهم لم يتوقع أن تأتي المواجهة من داخل الفيلا...

وأنَّهم جميعًا يحرسون خارجها...

ولكن هناك حتمًا من يحرس مقر احتجاز (غادة)...

هذا لو أنَّهم يحتجزونها بالفعل في القبو...

وعندما وصل إليه، تيقن من صحة استنتاجه...

فباب القبو لم يكن مجرد باب عادي...

لقد كان مصنوعًا من الصلب، وله رتاجٌ خاصٌّ، لا يمكن فتحه إلا من خلال بطاقة ممغنطة، تحوي شفرة سرية...

وها هي ذي عقبة جديدة توضع أمامه...

اختفى أسفل السلم، يبحث عن وسيلة؛ لتجاوز هذه العقبة الرقمية الجديدة، و...

وفجأة، أضيئت كل أنوار الطابق الأرضي...

والتفت (نديم) بكل سرعته...

وتحفَّزت كل عضلة في جسده...

ثم تجمَّد في مكانه تمامًا...

لم يدر من أين جاء كل هؤلاء الرجال، الذي تشع من

ملامحهم كل القسوة والشراسة...

ولكن ما أدركه، وبكل وضوح، هو فوهات مدافعهم الآلية، المصوبة نحوه مباشرة، على نحو يوحي بأنَّها النهاية...

نهاية (العقرب).

***

## -٦-

# الفخ

«ننتظر أوامرك يا باشا....»...

تراجع (أحمد عزيز) في مقعده بغرور شديد، وأشرق وجهه بنشوة الظفر، قبل أن يقول في حزمٍ:

- لو سألتنى رأيي، فأنا أرغب في سحقه سحقًا.

لم يفهم قائد الحراسة مغزى العبارة بالضبط، فتساءل، في شيء من الحذر:

- نقتله؟!

أجابه (أحمد عزيز) في استمتاع واضح:

- ليس بهذه البساطة.

ثم مال نحو الشاشة، متسائلًا في شيء من الصرامة:

- لماذا لم تنزعوا قناعه على الفور؟!

أجابه قائد الحراسة، في سرعة وقلق:

- تصوَّرت أن سعادتك ترغب في نزعه بنفسك.

اتسعت ابتسامة (أحمد عزيز)، وهو يقول:

- لأول مرة، تكون على حق.

ثم فرد قامته، وأضاف في صرامة:

- سأصل إليكم، خلال عشرين دقيقة.

وانعقد حاجباه في شدة، وهو يضيف:

- وإيَّاكم أن يفلت من بين أيديكم.

أجابه الرجل بنفس السرعة:

- مستحيل!.... لقد احتجزناه مع زميلته، في تلك الزنزانة الحصينة.

قال (أحمد عزيز) في حِدَّةٍ، وهو ينهض من أمام الشاشة:

- هذا لا يكفي.... أريد خمسة رجال مسلحين أمام الزنزانة، ومراقبة دقيقة طوال الوقت.

ثم أضاف، قبل أن يطفئ الشاشة مباشرة:

- وعند أول بادرة للشك... أطلقوا النار على الاثنين.

في نفس اللحظة التي نطقها، كانت (غادة) تتطلع إلى (نديم) في يأس، وهي تقول في مرارة:

- كنت أعلم أنَّ هذه المواجهة لن تنتهي لصالحنا.

أدهشها أنَّه بدا هادئًا أكثر من اللازم، وهو يقول:

- لكل شيء نهاية.

همَّت أن تقول شيئًا، ولكنه أضاف، في لهجة أسكتتها:

- ولكل شخص نهاية أيضًا.

ولأنَّها تعرفه جيدًا، أكثر من أي شخص آخر، فقد انتبهت إلى أنَّه لم ينطق عبارته الأخيرة على النحو الذي اعتاده...

لقد نطقها وكأنَّه يرسل إليها رسالة ما، مع معرفته أنَّهما مراقبان حتمًا...

وفي أعماقها، ارتجف شيء ما...

إنَّهما سجينان، داخل زنزانة حصينة، في قبو فيلا أقوى رجل في (مصر)، ومحاطان بحراسة تمنع فرار جيش كامل، وعلى الرغم من هذا فهو يخفي شيئًا ما...

حاولت أن تستنبط طبيعة هذا الشيء...

ولكنها لم تنجح في هذا...

أبدًا...

فبكل الحسابات المنطقية، وحتى غير المنطقية، كان فرارهما من هذا المكان مستحيلًا...

وبكل المقاييس...

لذا فقد طرحت الأمر كله عن رأسها، وسألته، في شيء من الحذر:

- لماذا أبقوا على قناعك؟!

هزَّ كتفيه، وابتسم ابتسامة هادئة، وهو يقول:

- ربما لم يحن وقت نزعه بعد.

قالت في عصبية:

- ولكننا الآن في قبضتهم.

استرخى على مقعد كبير، وهو يجيب في لامبالاة مستفزة:

- هذا صحيح.

شعرت بتوتر شديد، جعلها تقول في حِدَّةٍ:

- (نديم)... أنت تثير أعصابي في شدة.

اعتدل، قائلًا:

- لماذا؟!... ألأنني أواجه الواقع؟!

قالت في عصبية:

- هذا الواقع يقول: إنَّ أمرك قد انكشف، وقناعك لم تعد له جدوى، وهؤلاء لن يتعاملوا معنا بذرة واحدة من الرحمة.

عاد يسترخي على مقعده، وهو يقول:

- ومن ينتظر الرحمة، ممَّن خلت قلوبهم منها؟!

ثم اعتدل فجأة، يسألها في اهتمام:

- ما الذي تتوقعين حدوثه، يوم الخامس والعشرين من

يناير؟!

حدَّقت فيه مندهشة من السؤال، فتابع وكأنَّه لا ينتظر منها جوابًا:

- هناك دعوات للخروج في مظاهرات غضب، يوم عيد الشرطة.

قالت في عصبية:

- ما صلة هذا بموقفنا الحالي؟!

مرة أخرى تابع حديثه، متجاهلًا تعليقها:

- من الواضح أنَّ الشعب لم يعد يحتمل كل هذا الفساد، وهذه التجاوزات.

صاحت به:

- (نديم)... ماذا أصابك؟!

ابتسم، واسترخى مرة أخرى في مقعده، قائلًا:

- لا شيء... كنت أفكر بصوت مرتفع فحسب.

ومرة أخرى، لم تفهم شيئًا...

أي شيء...

شعر رجال (أحمد عزيز) بدهشة حقيقية، عندما طلب هو إعداد موكبه، في تلك الساعة، التي أوشك فيها الفجر على الانبلاج، وتصوروا كالمعتاد، أنَّه استدعاء عاجل من رياسة الجمهورية...

ولكن الموكب لم يتجه نحو رياسة الجمهورية كما توقعوا...

لقد اتجه نحو تلك الفيلا الصغيرة القديمة، المطلة على كورنيش النيل، في حي (المعادي)...

وكما اعتادوا، لم يطرح أحدهم سؤالًا واحدًا...

ومع تلوُّن الشفق، بأضواء الفجر الأولى، وصل الموكب إلى

تلك الفيلا الصغيرة...

وفي زهو، استقبله قائد حراسة الفيلا، وهو يقول:

- العقرب في القفص؟

أجابه (أحمد عزيز) في خشونة:

- هذا لن ينجيك من عقابي.

بدا الرجل منزعجًا، وهو يقول في ارتباك:

- ولكننا أوقعنا به.

أدرك الرجل ما يعنيه (أحمد عزيز)، فانكمش وهو يتبعه في صمت، إلى قبو الفيلا، حيث توقف (أحمد عزيز) أمام باب زنزانة (نديم) و(غادة)، وهو يقول في زهو:

- الذي فشلت فيه الداخلية كلها في فعله، خلال سنوات، أنجزه (أحمد عزيز)، في أقل من ثمان وأربعين ساعة.

ثم أشار إلى رجاله، ففتح أحدهم باب الزنزانة، في حين شهر الآخرون أسلحتهم في تحفُّز، وتقدَّم قائد الحراسة مع اثنين من رجاله، يصوِّبون أسلحتهم إلى (نديم) و(غادة)، ثم تبعهم (أحمد عزيز)، وهو يبتسم في زهو ظافر شامت...

ولقد أدهشه في الواقع أن ظل (نديم) هادئًا، مسترخيًا على مقعده، وهو يستقبله بابتسامة، قائلًا:

- كنتُ أعلم أنَّك لن تقاوم فكرة المجئ شخصيًّا.

أجابه (أحمد عزيز) في سخرية:

- تمامًا كما وصفوك أيُّها المتحذلق... تحتفظ بهدوئك دومًا، حتى في أحلك المواقف.

بدت (غادة) شديدة التوتر، في حين اعتدل (نديم) على مقعده، وهو يقول:

- وأنت كما وصفوك تمامًا يا هذا... قصير، مغرور، متغطرس... لا تتصور أنَّ هناك من يمكنه هزيمتك.

صاح قائد الحراسة في (نديم)، وهو يصوِّب مدفعه إليه في عصبية:

- قف وأنت تتحدث مع الباشا.

هزَّ (نديم) كتفيه في استهتار، وهو يقول:

- إنَّني أفضل الجلوس.

همَّ قائد الحراسة بالصراخ في وجهه مرة أخرى، ولكن (أحمد عزيز) استوقفه بإشارة من يده، وهو يقول:

- لا بأس... لن يصنع هذا فارقًا... عقربنا يفضل الموت جالسًا.

هزَّ (نديم) كتفيه مرة أخرى، قائلًا:

- مَن تحدَّث عن الموت؟!... إنَّني سأقف متفرجًا فقط، عندما يضعونك خلف القضبان.

شعر رجال (أحمد عزيز) بالغضب، وهتف أحدهم:

- هل أُطلق النار عليهما؟!

توترت (غادة) في شدة، ودارت لتقف خلف مقعد (نديم)، وكأنَّها تحتمي به، فأطلق (أحمد عزيز) ضحكة ساخرة، وهو يقول:

- هذا القناع لن يحميك يا حسنائي، كما لن يحمي صاحبه.

مال (نديم) نحوه، قائلًا في هدوء:

- وماذا لو فعل؟!

رمقه (أحمد عزيز) بنظرة، حاول أن يخفي فيها غضبه، وهو يقول:

- إما أنَّ الغرور قد سيطر عليك، وإما أنَّك فقدت عقلك، مع أول وآخر هزيمة تلقاها أيُّها العقرب التافه.

قالت (غادة) في حِدَّةٍ:

- لا أحد يمكنه أن يصف (العقرب) بالتافه.

أطلق (أحمد عزيز) ضحكة ساخرة طويلة، قبل أن يقول:

- عقربك ليس تافهًا فحسب يا حسنائي... إنَّه عقرب فقد ذيله السام أيضًا.

عاد (نديم) يسترخي في مقعده، وربت على يد (غادة)، التي تقبض على مسند المقعد من خلفه، وهو يقول:

- ولكنه لم يفقد قناعه بعد.

ارتسمت ابتسامة ساخرة، على شفتي (أحمد عزيز)، وهو يقول:

- لن يفقد قناعه فحسب، ولكن حياته كلها أيضًا.

قالها، واتجه نحو (نديم)، في حين سبقه رجاله الثلاثة، يصوِّبون مدافعهم نحو رأس هذا الأخير مباشرة، وشعرت (غادة) بخوف شديد، لم تنجح تربيتة يد (نديم) في تهدئته، في حين قال هو في هدوء عجيب:

هل تعلم لماذا لم تنطلق الدفاعات الجوية، على الرغم من هجوم الطائرات الإسرائيلية، في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م؟!

لم يبد للسؤال أي محل من الإعراب، في مثل هذا الموقف، فانعقد حاجبا (أحمد عزيز)، وهو يواصل تقدمه نحو (نديم)، ويمد يده لينزع عنه قناع العرب، فتابع هذا الأخير بنفس الهدوء:

- لأن القائد الأعلى للقوات المسلحة، كان داخل طائرة، في سماء (سيناء)؟!

مال (أحمد عزيز) نحوه، وهو يقول في غلظة:

- أتعشَّم أن تفيدك دروس التاريخ هذه في الآخرة.

ارتسمت ابتسامة عجيبة، على شفتي (نديم)، وهو يقول:

- لقد كنتُ واثقًا، من أنَّك لن تقاوم فكرة نزع قناعي بنفسك.

ومع قوله، ضغط زر ضبط العقارب في ساعته، و....

ودوت عدة انفجارات صغيرة مباغتة...

وانقطع التيار الكهربائي دفعة واحدة...

وساد الظلام داخل القبو...

وفي سرعة مدهشة، ومع الجزء الأول، من الثانية الأولى، التي انقطع فيها التيار الكهربائي، انحنى (نديم) في خفة، وركل (أحمد عزيز) بين ساقيه في قوة، ثم لم ينتظر حتى ليسمع تأوه هذا الأخير، وإنَّما دفع المقعد الذي كان يجلس عليه للخلف، وسمع دوي الرصاصات فوق رأسه، أعقبها صراخ قائد الحراسة:

- لا تطلقوا النار أيُّها الأغبياء... الباشا في القبو.

في اللحظات التي استغرقها هتاف قائد الحراسة، شعرت (غادة) بيد (نديم) تجذبها في قوة، ثم أحاطت يده بوسطها، وهو يدفعها دفعًا، إلى حيث لا ترى، وسمعت لكمة أو لكمتين، ثم راحت تعدو مع (نديم)، دون أن تدري إلى أين يتجه...

وعلى الرغم من كل هذا، فقد لاذت بالصمت تمامًا، ولم

تنبس ببنت شفة، ولكنها شعرت أنَّهما يعدوان عبر الممر الطويل، الذي يقود إلى القبو...

وسمعت (غادة) لكمة ثانية...

وثالثة...

ثم سمعت صوت (نديم)، يقول في حزمٍ:

- سنصعد إلى السطح...

كان كل رجال أمن (أحمد عزيز) يندفعون نحو القبو، عندما عاد التيار الكهربائي، عبر المولد الاحتياطى للفيلا، وشاهدت (نديم) لأول مرة، وهو يعدو معها، عبر سلالم الطابق الثاني، فهتفت به:

- كيف يمكن أن نفلت منهم، إذا ما صعدنا إلى السطح؟!

أجابها، وهم يقطعون الدرجات القليلة، التي تقود إلى سطح المبني:

- هل شاهدت من قبل أفلام (طرزان).

مرة أخرى، لم تر ارتباطًا واضحًا، بين سؤالها وجوابه، ولكنها شعرت بالحركة العنيفة أسفلها، وسمعت قائد الحراسة يصرخ برجاله:

- السطح... إنَّهما يتجهان إلى السطح.

وقفت مع (نديم) على سطح الفيلا حائرة، وشاهدته يغلق باب السطح في إحكام، فهتفت به:

- سيقتحمونه في دقائق قليلة.

أجابها في حزمٍ:

- هذا أكثر مما نحتاج إليه.

رأته يندفع نحو حبل، يمتد من أعلى بناية قريبة، ومربوط في قائم طبق الاستقبال الفضائي، ورأته يحل الطرف، فغمغمت في توتر:

- (نديم)... لستُ أظنك...

كان رجال (أحمد عزيز) قد بدأوا يضربون باب السطح بالفعل، عندما أحاط هو وسطها بذراعه القوية، وهو يقاطعها قائلًا:

- تشبثي بقوة.

أدار طرف الحبل حول ساعده، وأمسك به في قوة، ثم انطلق يعدو معها نحو حافة السطح، وعند نهايتها، وثب...

وعلى الرغم منها، أطلقت (غادة) شهقة قوية، عندما طار جسداهما في الهواء، والحبل الطويل يدور بهما حول الفيلا، ثم يدفعهما نحو حديقة خلفية، لمجموعة من البنايات القريبة...

وفي ذهول، شاهد رجال حراسة الحديقة ذلك المشهد العجيب، وأطلق بعضهم رصاصاته في الهواء، يشق سكون لحظات الفجر الأولى، في محاولة لاصطياد ذلك المقنع الطائر، ولكن المفاجأة، مع سرعة الانزلاق الهوائي لهما، جعلت الرصاصات تطيش في الهواء، قبل أن يقول (نديم) في حزمٍ:

- معذرة... الهبوط لن يكون سهلًا.

قالها، وهو يفلت طرف الحبل...

وهوى جسداهما...

ومن ارتفاع أربعة أمتار...

وعلى نحو غريزي، أطلقت (غادة) صرخة، أيقظت من لم يوقظهم دوي الرصاصات بعد، قبل أن يسقط كلاهما على أرضية تلك الحديقة...

وعلى الرغم مما شعرت به من آلام، شعرت بـ(نديم) ينهض في سرعة، ويجذبها من يدها، قائلًا:

- إنَّنا لم نبتعد بعد.

انطلقت تعدو إلى جواره في آلية، وهي تهتف لاهثة:

- يا إلهي!... لقد فعلتها يا (نديم)... لقد فعلتها.

هتف بها:

- ليس بعد.

قفز متجاوزًا سور الحديقة القصير، ورأى ثلاث كلاب حراسة تعدو نحوهما، وهي تنبح في شراسة، فعاونها على عبور السور، وهو يكمل:

- المنطقة كلها ليست آمنة... لا بدَّ وأن نبتعد بقدر الإمكان.

هتفت لاهثة في شدة، من فرط الإرهاق والانفعال:

- سيطلق شرطة (مصر) كلها خلفنا.

جذبها من يدها، وراح يعدو بكل قوته، قائلًا في حزمٍ:

- الأمر لن يقتصر على الشرطة وحدها...

في نفس اللحظة، كان (أحمد عزيز) يصرخ، في مزيج من الألم والغضب:

- لو أفلت منكم، سأقتلكم جميعًا... هل تفهمون؟!... سأقتلكم جميعًا.

وثب الرجال داخل سياراتهم، وانطلقوا بها، إلى كل الشوارع المحيطة بالفيلا، وسمعت (غادة) هدير السيارات، فغمغمت بنفس اللهات:

- لقد انطلقوا خلفنا يا (نديم)، و...

قبل أن تتم عبارتها، توقفت أمامها فجأة سيارة رباعية الدفع، بصرير فرامل عنيف، وانبعث منها صوت يقول:

- لقد عثرت عليكما.

وأسقط في يدها...

تمامًا.

-٧-

# العقرب والثعبان

لم تشهد (القاهرة) كلها انتشارًا لدوريات الشرطة، مثلما شهدته في ذلك اليوم...

كانت الدعوات إلى الخروج الغاضب، في اليوم التالي، الذي يوافق عيد الشرطة، تتصاعد على نحو غير مسبوق...

حتى خطة الخروج، وتوزيع المتظاهرين على الميادين، ثم نشرها في وضوح، عبر شبكة الإنترنت، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي...

ولقد تصور البعض، أنَّ انتشار دوريات الشرطة، هو تداع لتلك الدعوات..

ولكن المدهش أنَّ شبكات التواصل الاجتماعي كانت في واد، ومسئولي الدولة كلهم، بما فيهم جهاز الشرطة ووزارة الداخلية، كانوا في وادٍ آخر...

(أحمد عزيز) بالذات، كان يشتعل غضبًا، على نحو لم يعهده أحد فيه من قبل!!...

وفي مكتب وزير الداخلية، قال هذا الأخير في عصبية:

- (أحمد) باشا... لقد نفذتُ ما طلبته، وأطلقت جيشًا من دوريات الشرطة؛ للبحث عن عقربك هذا.

أجابه (أحمد عزيز) في حِدَّةٍ:

- ولكنها الواحدة ظهرًا، ولم يعثروا له على أثر بعد.

مال وزير الداخلية على مكتبه، قائلًا في توتر:

- (القاهرة الكبرى) ليست مدينة صغيرة يا (باشا)... إنَّها واحدة من أكثر مدن العالم ازدحامًا، وتعداد سكانها يربو عن الثمانية عشر مليونًا... أي إنَّها تزيد في تعدادها عن كثير من الدول، والبحث عن شخص واحد فيها، أشبه بالبحث عن إبرة في كومة من القش.

صرخ (أحمد عزيز) بكل غضبه:

- ولكن هذه الإبرة أهانتني، وأفلتت من بين أصابعي، كما لو أنَّها تفلت من قطعة من الزبد.

تردَّد وزير الداخلية لحظة، ثم قال في حسم:

- الواقع أنَّك أنت منحته الفرصة يا (باشا).

صاح (أحمد عزيز) في وجهه، غاضبًا ومستنكرًا:

- أنا؟!

حاول وزير الداخلية تهدئته، بإشارة من يده، وهو يقول:

- أتحدَّث من منظور مهني، وليس من منظور شخصي.

بذل (أحمد عزيز) جهدًا؛ للسيطرة على أعصابه، سائلًا في توتر:

- وكيف هذا؟!

اعتدل وزير الداخلية، وتنحنح مرتين، قبل أن يقول:

- إصرارك على أن تنزع قناعه بنفسك، منحه فرصة لوضع خطة الفرار، وحفظ سبيل الخروج، ثم إنَّه كان من الذكاء، بحيث أدرك أنَّ وجودك بشخصك وسط رجالك، عند انقطاع التيار الكهربائي، سيمنعهم من إطلاق النار عليه، وخطة دخوله وخروجه إلى الفيلا، كانت مبتكرة وغير نمطية، و...

قاطعه (أحمد عزيز) في حِدَّةٍ:

- هل يثير إعجابك إلى هذا الحد؟!

ارتبك وزير الداخلية، وهو يلوح بكفه، قائلًا:

- أخبرتك أنَّني أتحدث من منظور مهني بحت.

ثم عاد يميل نحوه مستطردًا:

- ودعنا لا ننسى أنَّ هذا الرجل كان أحد ضباط الشرطة، أي إنَّه تلقى تدريبات على أعلى مستوى، وملفه يقول: إنَّه كان يتمتع بمرونة وخفة، فاقت كل أقرانه، وهذا يعني أنَّنا لا

نواجه خصمًا عاديًّا.

صاح (أحمد عزيز):

- أيًا كان... إنَّه مجرد رجل واحد.

ثم أضاف بكل الحدة:

- وقناعه السخيف هذا، لن يضيف إليه شيئًا.

أطلق وزير الداخلية زفرة متوترة، مغمغمًا:

- ليس القناع، وإنَّما ما خلف القناع.

رمقه (أحمد عزيز) بنظرة غاضبة، قائلًا:

- وهل تعجز وزارة الداخلية كلها، عن ضبط رجل واحد، حتى ولو ارتدى ألف قناع؟!

قال الوزير، في شيء من العصبية:

- وزارة الداخلية كلها مشغولة بتجهيزات عيد الشرطة، وهناك تلك الدعوات التي...

قاطعه (أحمد عزيز) في حِدَّةٍ:

- دعوات؟!... لا تقل لي إنَّك تولي عبث الشباب هذا اهتمامًا كبيرًا... إنَّهم مجرد مجموعة من الفاشلين، لا عمل لهم سوى الجلوس أمام شاشات الكمبيوتر، وتبادل السخافات، والتظاهر بالفهم والوعي...

قال الوزير في توتر:

- ولكنهم يضعون خطة للتظاهر لأول مرة، ودعواتهم منتشرة في طول البلاد وعرضها، والتقارير تحذِّر من أن ينقلب الأمر إلى ثورة، و....

عاد (أحمد عزيز) يقاطعه، في حِدَّةٍ أكثر:

- ثورة؟!... ألم تتعلم شيئًا من تاريخ هذا الشعب يا رجل؟!... هذا الشعب قد يغضب، وينفعل، ويلعن ويسب أيضًا، ولكنه لا يثور.

غمغم وزير الداخلية في عصبية:

- لا بدَّ من اتخاذ كل الاحتياطات، على أية حال.

هتف (أحمد عزيز)، في سخرية شديدة العصبية والغضب والاستنكار:

- احتياطات؟!...

ثم مال هو نحو مكتب الوزير، مضيفًا في حِدَّةٍ صارمة:

- اسمعني جيدًا... أيًا كانت الاحتياطات أو التوقعات، أريد وضع العثور على ذلك (العقرب) على رأس أولويات الوزارة.

واعتدل بحركة حادة، ملوحًا بذراعيه معًا، وهاتفًا:

- أريد أن أعرف كيف اختفى ذلك الحقير؟!... وأين؟!

وكان هذا هو السؤال، في تلك اللحظة...

كيف اختفى (نديم)؟!...

وأين؟!...

***

الإجابة عن السؤال، تحتِّم علينا العودة بعقارب الساعة عدة ساعات إلى الوراء...

إلى نسمات الفجر الأولى لذلك اليوم...

إلى تلك اللحظة، التي عبر فيها (نديم) و(غادة) سور الحديقة القصير، وتوقفت أمامهما تلك السيارة رباعية الدفع...

«لقد عثرت عليكما...»...

نطقها قائد السيارة، فحدقت فيه (غادة) لحظة، قبل أن تهتف غير مصدقة:

- اللواء (مجدي).

دفع اللواء (مجدي) باب السيارة، وهو يقول في حزمٍ:

- دعونا لا نضيع لحظات ثمينة، ولنبتعد من هنا بأقصى سرعة.

وثب الاثنان داخل السيارة، التي انطلقت بهما بأقصى سرعتها، و(غادة) تهتف في سعادة:

- كيف عثرت علينا؟!

أجابها (مجدي)، وهو ينحرف في طريق جانبية، ومنها إلى أخرى:

- الضجة التي أحدثتماها، كافية لجلب جيش كامل.

قال (نديم)، وهو يستقر على المقعد المجاور له:

- إنَّك لم تأتِ إلى هنا بمحض الصدفة.

أجابه (مجدي)، وهو يواصل الغوص، في شوارع حي (المعادي) المتشابكة:

- كلّا بالطبع... لقد استعنت بصديق.

ردّدت (غادة) في حيرة قلقة:

- صديق؟!

غمز (مجدي) بعينه، مجيبًا:

- (فؤاد)... (فؤاد ثعلب).

تفجرت الدهشة في ملامحها، في حين قال (نديم) في هدوء، زاد من دهشتها:

- هذه سيارته... أليس كذلك؟!

أطلق (مجدي) ضحكة قصيرة، قبل أن يقول:

- لا ريب في أنّه يبلّغ عن سرقتها الآن.

ومع قوله، أوقف السيارة إلى جانب الطريق بغتة، مضيفًا:

- ومن المؤكد أن شياطين (أحمد عزيز) قد رصدوها أيضًا... ولهذا...

غادر السيارة، وأشار إليهما بمغادرتها معه، وهو يشير إلى سيارة صغيرة، مكملًا بابتسامة:

- سنتركها لهم هنا، ونستبدلها بهذه.

هتفت (غادة) في سعادة:

- رائع.

أسرعت تدلف إلى المقعد الخلفي للسيارة، واستقرَّ (مجدي) خلف عجلة القيادة، فقال (نديم) في حزمٍ:

- انتقلي إلى المقعد الأمامي.

تطلع إليه الاثنان في حيرة، فالتفت إلى (مجدي)، يسأله:

- ألديك مأوى آمن لها؟!

أجابه (مجدي)، وهو يتطلع إليه بنظرة متسائلة:

- بالتأكيد... لن يمكنهم العثور عليها فيه، حتى ولو نبشوا الأرض نبشًا.

هتفت (غادة):

- لماذا تسأل؟!... ولماذا لم تدخل السيارة معنا؟!

غمغم (مجدي):

- بل سليه: لماذا لم ينزع قناعه بعد؟!.

شد (نديم) قامته، والتقط نفسًا عميقًا، وهو يقول في حزمٍ:

- لم يحن وقت نزعه بعد.

حاولت (غادة) أن تقول شيء، إلا أنَّ (مجدي) استوقفها بإشارة من يده، وهو يسأله:

- هل تعرف ماذا تفعل؟!

أجابه في حزمٍ واقتضاب:

- بالتأكيد.

ثم مدَّ يده إليه، مستطردًا:

- سيادة اللواء... من كان يصدق أن نصافح بعضنا يومًا، على هذا النحو.

صافحه (مجدي)، وهو يقول:

- كنتُ أنفِّذ القانون، وأعمل من أجله.

سأله (نديم) مبتسمًا:

- واليوم؟!

بدا (مجدي) قويًا حازمًا، وهو يجيب:

- من أجل (مصر).

تصافحَا في قوة واحترام، ثم لوَّح لهما (نديم) بيده، فسألته (غادة)، والسيارة تنطلق:

- إلى أين؟!

ابتسم ابتسامة هادئة، مجيبًا:

- إلى حيث لا يمكن أن يتوقعوا.

وما هي إلا لحظات، حتى كان قد اختفى تمامًا...

مع أول أضواء الفجر...

***

صرخ (أحمد عزيز)، فيمن تبقوا من رجاله، داخل تلك الفيلا القديمة، مع مطلع الفجر:

- كيف يحدث هذا؟!... المفترض أنَّكم من أفضل رجال

الأمن والحراسة، في (مصر) كلها، فكيف يفلت منكم رجل وامرأة بهذه البساطة.

أجابه قائد الحراسة بكل توتره:

- إنَّه مغامر من طراز لم نعتده، ولم نستعد لمواجهته... بل ولم نتصور حتى إمكانية وجوده... لقد وضع خطته في حِرفية شديدة، واعتمادًا على وجودك يا (باشا)؛ فمن منا كان سيجرؤ على إطلاق النار، داخل حجرة مظلمة، توجد فيها بشخصك.

صاح فيه (أحمد عزيز) في غضب:

- بل قل إنَّه قد استغلَّ غباءكم وغفلتكم، عندما تركتم السطح بلا حراسة.

قال قائد الحراسة، مدافعًا عن نفسه:

- الإنذار الذي انطلق، معلنًا وجود دخيل، دفعنا للانتشار في الحديقة، وحول الفيلا، ولم نكشف أنَّها مجرد حلقة عدنية، ألقاها نحو كواشف الحركة، إلا بعد وقوعه في قبضتنا.

قال (أحمد عزيز) في جِدَّةٍ:

- وعلى الرغم من هذا، فقد فر أيضًا عبر السطح.

بدا قائد الحراسة شديد الضيق، وهو يقول:

- الموقف كله كان مضطربًا مرتبكًا، وهو تحرَّك في سرعة، وبخطة فرار معدة مسبقًا.

ثم شد قامته، محاولًا استعادة صلابته، مضيفًا:

- وعندما يعود الرجال من مطاردته والبحث عنه، سنعيد توزيع خطة الحراسة، ولن نسمح بتكرار هذا الأمر أبدًا.

صرخ (أحمد عزيز) في وجهه فجأة:

- تكرار؟!... لو تكرر أمر واحد، مما حدث هنا الليلة، لن يجد أحدكم فجوة في جدار، يستطيع الاختباء فيها مني.

قالها، واندفع نحو باب الفيلا، فهتف به قائد الحراسة في توتر:

- هل ستغادر يا باشا؟!

أجابه في حِدَّةٍ:

- حتى لا يعوقكم وجودي مرة أخرى.

لحق به قائد الحراسة، هاتفًا:

- وماذا لو ظفر الرجال به؟!... هل...

قاطعه (أحمد عزيز) بكل صرامته، وهو يتجه نحو سيارته:

- اقتلوه.

ثم التفت إليه، مضيفًا في غلٍّ:

- وفور رؤيته.

ودلف إلى سيارته، وانطلق موكبه مبتعدًا عن الفيلا الصغيرة، فتنفس قائد الحراسة الصعداء، مغمغمًا في مقتٍ:

- لو قال غيرك نصف ما قلت، لمزقت عنقه بأظافري.

ثم التفت إلى أحد رجاله، متسائلًا في صرامة:

- كم رجلًا بقي هنا؟!

أشار الرجل بمسدسه، مجيبًا:

- خمسة فقط أيُّها القائد، وهذا يشملنا معًا... والباقون كلهم يمشطون شوارع (المعادي) بسيارتهم، بحثًا عنه.

قال قائد الحراسة في صرامة، كمن يفرغ كل الغضب المختزن في أعماقه:

- عندما يعودون، سأعقد اجتماعًا مع الجميع... سنضع خطة جديدة لحراسة الفيلا، وسنقوم بوضع نقطة حراسة دائمة على سطحها.

تساءل الرجل في اهتمام:

- وماذا عن الآن؟!

كانت أشعة الشمس قد بدأت تنساب على الحديقة، فأجابه قائد الحراسة في صرامة:

- لن يجازف ذلك المغامر المقنع بهجوم نهاري، فأمثاله لا يخرجون إلا ليلًا.

تطلَّع إليه الرجل، في شيء من الحذر، فأضاف في حِدَّةٍ:

- هل تتصور مثله يسير في وضح النهار، مرتديًا ذلك القناع الأسود السخيف؟!... اعقل يا رجل.

قالها، وعاد إلى داخل الفيلا، التي بدت بحاجة إلى إعادة ترتيب، بعد موقعة الساعات الماضية، وصعد إلى الطابق العلوي، وهو يقول في مقت:

- وذلك المغرور يتصور، لأنه أقوى رجل في (مصر)، أنَّه يستطيع إهانة الجميع، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض... يا له من قصير فاشل... كيف يتهمنا بالفشل والخيبة، بعد كل ما نفعله هنا.

فاجأه صوت من أعلاه، يقول ساخرًا:

- لقد أخبرتك من قبل.

رفع رأسه في سرعة، وحاول أن يرفع سلاحه، مع العبارة المكملة:

- لأنَّكم فاشلون بالفعل.

وفي هذه المرة، كانت انقضاضة (العقرب) عنيفة قوية...

وإلى أقصى حد.

***

-٨-

# بالقانون

في نفس اللحظة، التي غادر فيها (أحمد عزيز) مبنى وزارة الداخلية، ارتفع رنين هاتفه المحمول، فالتقطه وألقى نظرة على شاشته، التي حملت ما يشير إلى أن رقم المتصل غير متاح، مما جعله يعتدل، ويلتقط نفسًا عميقًا، قبل أن يجيب الهاتف في احترام:

- أفندم.

كان يتصور أنَّ الاتصال جاء، من أحد ابني الرئيس، أو حتى من الرئيس نفسه، إلا أنَّه باغته صوت (نديم)، وهو يقول في هدوء ساخر:

- خذها نصيحة مني، وتخلَّص من طاقم حراسة فيلتك القديمة.

كانت صدمة عنيفة له، جعلته يقبض على هاتفه في قوة،

بحركة غريزية عصبية، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- من أي هاتف تتحدث؟!

أجابه (نديم) بنفس اللهجة:

- على الرغم من شغفك الشديد بالتكنولوجيا، فسيدهشك ما يمكن أن تفعله فعليًّا، عبر شبكة الإنترنت.

حاول (أحمد عزيز) أن يكتم غيظه وغضبه، أمام رجاله، الذين يقفون في انتظار ركوبه سيارته، وقد فتح له أحدهم بابها في احترام، وسأل:

- من أين حصلت على هذا الرقم الشخصي؟!

ارتفعت نبرة السخرية في صوت (نديم)، وهو يقول:

- ليس هذا فقط ما حصلت عليه.

اندفع (أحمد عزيز) نحو سيارته، وهو يقول في عصبية:

- أنت مجرد متحذلق مغرور، يجيد التعامل مع التكنولوجيا.

أجابه (نديم):

- التكنولوجيا لا بديل عنها، في هذا العصر.

لم يكد (أحمد عزيز) يستقر داخل سيارته، حتى أوصل هاتفه بجهاز خاص، يتيح له تتبع الاتصال، عبر شبكات الهواتف المحمولة، وتطلّع إلى شاشته في اهتمام، في حين قال (نديم)، وكأنَّه يعلم ما يفعله:

- وبالمناسبة... لا ترهق نفسك بتتبع المحادثة، فأنا أجلس في حجرة مكتبك القديمة، في الطابق الأرضي من فيلا (المعادي)، أستمتع بمطالعة تلك المستندات، التي كنت تخفيها في خزاناتك السرية، في قاع المكتبة الخشبية الصغيرة.

اشتعل غضب الدنيا في نفس (أحمد عزيز)، وخاصة عندما فشلت شاشة جهاز التتبع، في أن تؤكد أن (نديم) يتحدث بالفعل من الفيلا القديمة، واكتسب صوته نبرة

وحشية شرسة، وهو يقول في حِدَّةٍ، أدهشت سائقه وحارسه الخاصين:

- إنَّك تحفر قبرك بيديك أيُّها (العقرب).

أجابه (نديم)، في استهتار واضح:

- لستُ أعتقد هذا... بل أعتقد أنَّني أحفر قبرك أنت يا (باشا)؛ فما تحويه تلك المستندات، يكفي لإلقائك خلف القضبان، لمائة عام على الأقل.

صرخ (أحمد عزيز) بكل غضبه وانفعاله:

- أنت واهم.

ثم أنهى الاتصال في عنف، وصرخ في سائقه:

- إلى فيلا (المعادي) فورًا.... وبأقصى سرعة.

غمغم السائق، وهو يزيد من سرعة السيارة في توتر:

- الطرق مزدحمة الآن، و...

صرخ فيه، قبل أن يتم عبارته:

- سر في عكس الاتجاه... أو ارتطم بالسيارات لو اقتضى الأمر... من سيجرؤ في (مصر) كلها على إيقاف أو اعتراض (أحمد عزيز)؟!.... من؟!...

صرخها، وهو يدرك في أعماقه أنَّه، حتى وإن كانت (مصر) كلها في قبضته، فهناك شخص واحد، لا يقيم له وزنًا...

شخص واحد...

أو عقرب واحد....

***

«لن أبقى هنا...»...

قالتها (غادة) في إصرارٍ شديدٍ، وهي تنهض من مكانها في حركة حادة، فنهض (مجدي) بدوره، قائلًا:

- لا داع للمجازفة يا بنيتي... رجال (أحمد عزيز) كلهم يبحثون عنك، ولما له من سلطة وسطوة، سيطلق وزارة الداخلية كلها خلفك، وخلف (نديم) أيضًا.

قالت في عناد:

- ولهذا لا ينبغي أن أظلَّ هنا، وأتركه يواجههم وحده في الخارج.

حاول إيقافها، وهو يسألها:

- وكيف يمكنك مؤازرته في مثل هذا الموقف؟!... إنَّنا لا نعرف حتى أين هو الآن، ولا ماذا يفعل؟!...

توقفت حائرة، وبدت شديدة التوتر، وهي تقول:

- وماذا لو أنَّهم قد ظفروا به؟!

لم يجد لديه جوابًا، فتمتم:

- سأحاول معرفة هذا.

التقط سترة زيه الرسمي، وحاول أن يبتسم، وهو يضيف:

- ما زلت أعمل رسميًا في وزارة الداخلية... أليس كذلك؟!

سألته في توتر أكثر:

- وهل سيخبرونك، لو أنَّهم فعلوا؟!

ارتدى سترته الرسمية في صمت، وهو يبحث عن جواب مناسب في ذهنه، قبل أن يغمغم:

- ربما... لو أنَّهم هم من ظفر به.

تضاعف توترها، ولوحت بذراعها، وهي تقول في عصبية:

- ولكنني لا أحتمل البقاء هنا ساكنة، وهو يواجه كل هذا في الخارج.

ربت على كتفها في حنان أبوي، وهو يقول:

- في كثير من الأحيان، يكون العامل الأهم في النصر، هو الصبر والانتظار، حتى تحين اللحظة المناسبة.

منحها ابتسامة مشجعة، وهو يضيف:

- سأحاول العودة بأسرع ما يمكنني... انتظريني، ولا تغادري مكانك هذا أبدًا، حتى أعود.

كان يهم بمغادرة المكان، عندما غمغمت:

- (نديم) كان على حق.

التفت إليها بنظرة متسائلة، فتابعت:

- من كان يتصور أن ينقلب موقفك، من جانب إلى آخر، على هذا النحو؟!

توقف لحظات صامتًا، أمام الباب، ثم قال في حزمٍ، دون أن يلتفت إليها:

- ومن كان يتصور أن تبلغ تجاوزاتهم هذا الحد؟!

قالها، وغادر المكان، وأغلق الباب خلفه...

وبكل هدوء...

***

تفجر غضب (أحمد عزيز) إلى ذروته، وهو يقف أمام باب فيلته القديمة، وقبل حتى أن يفتحه...

فمنذ اللحظة الأولى، أغضبه أن وجد باب الحديقة مفتوحًا، ولم يجد أثرًا لرجال حراسته في الحديقة نفسها...

ومع غضبه، اندفع اثنان من حرسه الشخصي، يعبرون الحديقة نحو الفيلا...

وأمام باب الفيلا توقفا، وتفجَّر غضبه هو إلى الذروة...

فالباب، الذي لم يكن مغلقًا في إحكام كالمعتاد، كانت ملصقة عليه بطاقة صغيرة...

بطاقة تحمل رسمًا لعقرب...

وبكل غضبه، انتزع (أحمد عزيز) البطاقة، ومزقها في حِدَّةٍ، وألقى قطعها خلف ظهره، وهو يدفع الباب، هاتفًا:

- أين ذهب أولئك الحمقى؟!

كانت الفيلا كلها مضاءة، ولكنها خالية تمامًا، على الرغم من أنَّ كل سيارات رجاله تقف أمامها، فصاح بحارسيه الشخصيين، وهو يندفع نحو حجرة مكتبه القديمة:

- ابحثوا عن الفاشلين.

شهر حارساه مسدسيهما، واندفعا يفتشان الفيلا، في حين عضَّ هو شفته السفلى في غضب، حتى كاد يدميها، وهو يحدِّق في باب حجرة مكتبه القديمة المفتوح، والذي يحرص دومًا على إغلاقه برتاج خاص، لا يمكن كسره، واندفع نحو خزانته السرية، ليشتعل غضبه أكثر وأكثر...

لقد فعلها (العقرب)!!...

عثر على خزانته السرية...

واقتحمها...

واستولى على كل ما فيها من مستندات شديدة الخطورة..

ولكن كيف؟!...

طرح على عقله السؤال، وغضب هادر يتصاعد في أعماقه، مع شعور لم يشعر به، منذ سنوات طوال، حتى كاد ينسى وجوده...

شعور بالهزيمة...

أقوى رجل في (مصر)، ينهزم أمام عقرب بشري واحد...

كان غضبه يغلي في أعماقه...

ويغلي...

ويغلي...

وطرح عقله المشتعل بالغضب سؤالًا آخر...

أين كان رجال حراسته، الذين انتقاهم في دقة شديدة، مع كل هذا؟!...

أين؟!...

«عثرنا عليهم يا (باشا)...»...

نطقها أحد الحارسين الشخصيين في قوة، فانتفض جسد (أحمد عزيز)، بكل تلك الانفعالات الجارفة في أعماقه، وهو يسأله في حِدَّةٍ:

- أين؟!...

أجابه حارسه في سرعة حذرة، وكأنَّما يخشى رد فعله:

- كلهم هناك... في تلك الزنزانة الحصينة في القبو.

كان (أحمد عزيز) يهم بالصراخ بكلمة ما، عندما أضاف الحارس الشخصي، في توتر ملحوظ:

- فاقدي الوعي.

تراجع (أحمد عزيز) بحركة حادة، وهو يقول مصدومًا:

- كيف؟!

ثم اندفع يسبق حارسه الشخصي إلى القبو، والسؤال يشعل نيران غضبه أكثر وأكثر، على نحو لم يشعر به، في حياته كلها...

كيف فعلها (العقرب)؟!...

كيف؟!..

***

«لا أحد يدري»...

قالها مدير المباحث في وزارة الداخلية، في توتر كبير، للواء (مجدي)، قبل أن يلوح بذراعه كلها، مكملًا في عصبية:

- لم تعثر له دورية واحدة على أدنى أثر، وكأنَّما ذاب وتلاشى، في قلب (مصر).

أخفى اللواء (مجدي) إعجابه، وهو يتساءل:

- وكيف هذا؟!... ألم يتم توزيع صورته على كل الدوريات الراكبة؟!

هتف مدير المباحث في عصبية أكبر:

- ونشرة كاملة بأوصافه أيضًا، وبكل مكان يمكن أن يلجأ إليه.

تردَّد اللواء (مجدي) لحظة، قبل أن يتساءل في حذر:

- ربما ظفر به رجال (أحمد عزيز).

حدق فيه مدير المباحث لحظات، وكأنَّما لا يصدق أنَّه قالها، ثم تلفَّت حوله، وكأنَّه يخشى أن يسمعه أحد، قبل أن يهمس في توتر:

- لو حدث هذا، لأوقفوا عمليات البحث بأية حجة.

ثم تراجع، مكملًا في شيء من الحدة:

- والواقع أنَّني لست أدري سر الاهتمام المفاجئ بذلك (العقرب)، وسط كل هذه الظروف... مهما تكن أهميته أو خطورته، فأمامنا الكثير من الاستعدادات لعيد الشرطة غدًا، وهناك تلك الدعوات السخيفة للتظاهرات، ولا بدَّ أن نستعد لمواجهتها أيضًا.

سأله (مجدي) في اهتمام:

- هل تعتقد أنَّها ستسفر عن شيء؟!

صمت مدير المباحث لحظات مفكرًا، قبل أن يهز رأسه، مجيبًا:

- المعتاد... سيتظاهرون، ويحيط بهم جنود الأمن المركزي، وتتعالى هتافاتهم، ويتجاوزون بالقول واللفظ بعض الوقت، ثم تنهال العصي الغليظة على رؤوسهم فيتفرقون، بعد أن يكونوا قد أفسدوا علينا عيد الشرطة.

لم يكن (مجدي) يتفق معه في هذا، إلا أنَّه لم يعارضه، مع إدراكه أنَّ الرجل لا يستطيع الصعود بخياله إلى ما هو أكبر من هذا...

فمنذ انتهت الانتخابات البرلمانية الأخيرة، بكل ما حدث فيها من تجاوزات، فاقت كل الحدود، وهو يلمَح ويقرأ الغضب في عيون المصريين...

كل المصريين...

تقريبًا...

ومن واقع خبرته، كان يدرك أنَّ الأمر لن يمضي في سلام...

وأنَّه سيتجاوز كل التوقعات...

ولقد قدم مذكرة بهذا، إلى وزير الداخلية شخصيًّا، ثم أدرك أنَّ الكل لا ينظر إلى الأمر، من نفس الزاوية، التي ينظر هو إليها، وأيقن من أنَّهم لن يحسنوا التعامل مع العاصفة القادمة، و...

«سيادة اللواء...»...

ظهر ذلك الضابط عند باب حجرة مكتب مدير المباحث، فالتفت إليه هذا الأخير مع (مجدي)، في آنٍ واحدٍ، مما جعله يرتبك، قائلًا:

- كنت أقصد سيادة اللواء (مجدي).

بدا الارتياح على وجه مدير المباحث، في حين تساءل (مجدي) في حذر:

- ماذا هناك؟!

عاد الضابط يشد قامته، وهو يجيب:

- سيادة الوزير يطلبك في مكتبه... فورًا.

وحبس (مجدي) أنفاسه...

فمع هذه الأحداث، لا مكان أن يحمل له استدعاء وزير الداخلية الخير...

على الإطلاق...

***

بكل العصبية، راحت (غادة) تتحرك في ذلك المنزل القديم، الذي وضعها فيه اللواء (مجدي)... ما علمته منه أنَّه منزل كانت تقيم فيه والدته الراحلة، في حي شعبي من أحياء (القاهرة) القديمة، وأن أحدًا من زملائه في الداخلية لا يعلم بوجوده..

ولهذا فقد اعتبره منزلًا آمنًا لها...

ولم يكن هذا ما يقلقها في الواقع...

لقد كانت شديدة القلق على (نديم)، الذي لم تعرف عنه شيئًا، منذ تركهما في الفجر...

ولأنَّها تعرفه جيدًا، كانت واثقة من أنَّه قد عاد إلى فيلا (أحمد عزيز) القديمة؛ فقد كانت فرصة مثالية، لا يمكن أن يضيعها...

الفيلا خلت أو كادت من رجال الحراسة، الذي خرجوا للبحث عنه وعنها، وهي - كما علما - تحوي أدق أسرار أقوى رجل في (مصر)...

والعودة إليها، دون أن يخطر هذا ببال أحد، قد يضع يديه على أخطر أسرار (أحمد عزيز)...

ولهذا فهو سيعود...

ولكن ماذا يمكن أن يحدث هناك؟!...

ماذا؟!...

هل ستسير الأمور لصالحه، أم تمضي عكس التيار؟!...

ثم أنَّ اللواء (مجدي) قد منعها من إجراء أية اتصالات، مهما كانت الأسباب، خشية أن تكون الهواتف مراقبة...

أو أنَّها كذلك بالفعل؛ مما يقود زبانية (أحمد عزيز) إليها...

ولكنها لا تحتمل البقاء في هذا المكان...

أو هذا الموقف...

منذ البداية، اعتادت أن تكون إلى جوار (نديم) دومًا...

تواجه كل ما يواجهه، وتحتمل كل ما يحتمله، ومستعدة مثله لنفس العواقب والنتائج...

وفي هذه المرة ولأول مرة، تتركه يعمل وحده...

وبقناع (العقرب)...

وهي غير قادرة على احتمال هذا...

على الإطلاق...

ليس فقط لأنَّها تؤمن بنفس ما يؤمن به، من حتمية تغليب العدالة على القانون، إذا ما عجز الأخير عن تحقيق الأولى...

ولكن لسبب أهم...

سبب ربما لم تجرؤ على الاعتراف به لنفسها طويلًا...

إنَّها تحبه...

ومن قبل حتى أن تعمل معه...

كانت قد وصلت بتفكيرها إلى تلك النقطة، عندما ارتفعت دقات قوية فجأة، على باب المنزل، فانتفض جسدها في قوة، وتراجعت في سرعة، متطلعة إلى الباب في قلق، ومتسائلة عن هوية الطارق...

ثم فجأة، وقبل أن تمضي في تفكيرها بعيدًا، اقتحم ثلاثة رجال المكان، ووجدت نفسها أمامهم دون مقدمات، فأطلقت شهقة مكتومة، وخاصة عندما تبعهم أحد حراس (أحمد عزيز) الشخصيين، وهو يقول، وعيناه تلتمعان في ظفر:

- كنا نعلم أنَّنا سنجدك هنا.

وفور عبارته، ارتفعت فوهات ثلاثة مسدسات قوية...

في وجهها مباشرة.

***

-٩-

# الساعات الأخيرة

«تجاوزت حدودك أيُّها اللواء...»...

صرخ وزير الداخلية بالعبارة، في وجه اللواء (مجدي)، الذي بذل قدرًا هائلًا من الجهد؛ للحفاظ على تماسكه وهدوء أعصابه، وهو يقول:

- من أية ناحية يا سيادة الوزير؟!

ضرب الوزير سطح مكتبه بقبضته، وهو يقول:

- هل تتصوَّر أنَّك تستطيع التلاعب بنا، كما يتلاعب المحامون بنصوص القوانين؟!... إنَّنا نعرف عنك، ما قد لا تعرفه أنت عن نفسك.

بدأ الشك يتسرَّب إلى نفس (مجدي)، وهو يقول:

- لم تخبرني بعد ماذا فعلت يا سيادة الوزير.

ظهر الغضب على وجه الوزير أكثر، وهو ينحني على سطح مكتبه، قائلًا في حِدَّةٍ صارمة:

- هل تصوَّرت أنَّنا حقًّا نجهل أمر منزل والدتك القديم، في ذلك الحي الشعبي؟!

سقط قلب (مجدي) بين قدميه، ولم ينبس ببنت شفة، مع امتقاع وجهه، فتابع الوزير، وهو يعود للاعتدال على مقعده:

- (أحمد عزيز) غاضب من موقفك هذا بشدة، و(فؤاد ثعلب) أخبره بكل شيء، بعد أن عثروا على سيارته، بالقرب من الفيلا القديمة، وغضبه منك انعكس على غضبه مني أيضًا، والوسيلة الوحيدة؛ لأنجي نفسي من نتائج هذا الغضب، هي أنت...

لم ينبس (مجدي) ببنت شفة، هذه المرة أيضًا، إلا أنَّه شعر فجأة بقوة عجيبة، تدب في نفسه، وتعيد التورد إلى وجهه، مع لحظة الصمت القصيرة، التي غابت خلالها كلمات الوزير، قبل أن يعود، في صرامة عصبية غاضبة:

- لقد أصدرتُ قرارًا بإحالتك إلى التقاعد، اعتبارًا من هذه اللحظة.

في ظروف أخرى، وربما منذ أعوام مضت، كانت تلك الكلمات ستهبط على رأس وعقل وقلب اللواء (مجدي) كالصاعقة...

ولكنها، وياللعجب، هبطت بردًا وسلامًا عليه، وجعلته يغمغم في ارتياح:

- حمدًا لله.

أدهشت غمغمته هذه الوزير بشدة... وأغضبته بشدة أيضًا، في الوقت ذاته، فصاح فيه في حِدَّةٍ:

- هل تحمد الله، على أنَّني أحلتك إلى التقاعد؟!

جرأة عجيبة، سَرَت في كل عروق اللواء السابق (مجدي)، وجعلته يشد قامته في اعتداد، على الرغم من وقوفه في مواجهة وزير الداخلية مباشرة، ويقول في حزمٍ:

- أحمد الله سبحانه وتعالى، على أن جاء القرار في هذا التوقيت بالتحديد؛ فلا أحد يعلم ماذا سيحدث غدًا.

احتقن وجه الوزير، وهو يقول في حِدَّةٍ أكثر:

- ما سيحدث هو أنَّه سيتم تقديمك لمحاكمة عسكرية؛ لتجاوزك مهام وظيفتك ومنصبك.

اندهش (مجدي) نفسه، عندما سأل في جرأة:

- من أية ناحية؟!

أجابه الوزير، في مزيج من الدهشة والاستنكار والغضب:

- إنَّك تساعد مجرمًا على الفرار، وتأوي تلك المحامية الشابة في منزل والدتك القديم.

قال (مجدي) في جرأة أكثر، زادت من دهشته شخصيًّا:

- المجرم هو مَن يُصدر ضده حكمٌ مدينٌ؛ فالقاعدة تقول: «إن المتهم بريء، حتى تثبت إدانته»... أما (غادة)، فهي

مجرد صديقة، لم توجَّه إليها حتى أية اتهامات، ومن حقي (قانونًا)، استضافة من أشاء، في منزل والدتي.

ضغط كلمة (قانونًا) بشدة وهو ينطقها، فتطلَّع إليه وزير الداخلية لحظة مستنكرًا، قبل أن يميل مرة أخرى على مكتبه، قائلًا في غضبٍ صارمٍ:

- ألم أقل لك: إنَّك قد تجاوزت حدودك؟!... القانون هو لعبة تدار في قاعات المحاكم، بين المحامين والنيابة والقضاء... أما هنا، فنحن في لعبة أكبر، وقواعدها توضع من طرف واحد فقط.

ثم اعتدل، مضيفًا:

- وأنتَ لست هذا الطرف بالتأكيد.

قال (مجدي) في هدوءٍ حازمٍ:

- لا أحد يدري، من سيكون الطرف، الذي يحكم قواعد اللعبة، في المرحلة القادمة.

مزج الوزير سخريته بغضبه، وهو يقول:

- لا تأمل كثيرًا... قواعد اللعبة ستظل كما هي، لثلاثة عقود قادمة على الأقل... إنَّنا لم نبذل كل ما بذلناه؛ ليرث الابن حكم الأب، إلا لنضمن هذا.

حمل صوت (مجدي) مزيجًا من الحزم والخشوع، وهو يقول:

- ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

انعقد حاجبا الوزير، في غضب ومقت شديدين، وقال في صرامة، وهو يضغط زرًّا على سطح مكتبه:

- هكذا؟!...

دلف مدير مكتبه إلى المكان، إثر رنين الجرس، فأشار الوزير إلى (مجدي)، وهو يقول في لهجة آمرة صارمة:

- اللواء (مجدي) تمَّت إقالته، وسيصدر قرار آخر، من جهة سيادية، بحرمانه من المكافأة والمعاش، وتجريده من رتبته

ونياشينه... احرص على أن يسلِّم سلاحه ومتعلقاته وزيه الرسمي فورًا.

تقدم مدير المكتب، وأمسك ذراع (مجدي) في قوة، إلا أنَّ هذا الأخير لم يبال، لا بتلك المسكة، التي تتعارض حتى مع أبسط قواعد الاحترام، ولا حتى بقرارات وأقوال وزير الداخلية...

فكل ما كان يشغل باله، في تلك اللحظة، هو (غادة)...

لقد كشفوا مكمنها، الذي كان يتصوره آمنًا...

فماذا سيفعلون بها؟!...

ماذا؟!...

***

عندما رفع الرجال الثلاثة مسدساتهم، في وجه (غادة)، كانوا يرونها مجرد فتاة حسناء، ستنهار فور رؤيتها فوهات الأسلحة...

وأنَّ مهمتهم ستكون سريعة...

وناجحة...

فمع ثلاث مسدسات، تزوّد كل منها بكاتم صوت قوي، يمكن أن تنتهي المهمة بضغطة واحدة على الزناد...

ولكن المفاجأة جاءت من نصيبهم هم...

فالفتاة الحسناء، ضئيلة الجسد، تحرَّكت بغتة، ووثبت في خفة، لتدفع الجدار المجاور لها بقدمها، وتتخذ من هذا قوة اندفاع كافية، لتعبر بحركة رشيقة، فوق رؤوس الرجال الثلاثة، وتركل مع عبورها أنف أحدهم بقدمها الأخرى...

ولكن الرجال الثلاثة، بالإضافة إلى الحارس الشخصي، لم يكونوا أيضًا رجالًا عاديين...

لقد كانوا محترفين...

محترفين تلقوا تدريبات عنيفة...

وعلى أعلى مستوى...

فعلى الرغم من سقوط الرجل، الذي ركلت هي أنفه أرضًا، تحرَّك الباقون في سرعة، وأداروا فوهات مسدساتهم نحوها، حتى الحارس الشخصي، الذي لا يحمل مسدسه كاتمًا للصوت مثلهم...

حاولت (غادة) أن تركل مسدسًا آخر، ولكن صاحبه تراجع بحركة احترافية، ثم صوَّب فوهة مسدسه إلى رأسها...

وفي نفس اللحظة، حذا الآخران حذوه، و...

وفجأة، انطلقت تلك الصرخة، من خلفهم مباشرة...

استداروا - كمحترفين - في سرعة بالغة، وتراجعوا بحركة عصبية، عندما شاهدوا ذلك العدد من سكان الحي، وهم ينقضون عليهم صارخين، ملوحين بكل ما استطاعوا حمله، مما يصلح كسلاح بدائي...

وعلى الرغم من احترافية الرجال الأربعة، فقد انهالت عصا غليظة على ذراع أحدهم، وأجبرته وهو يطلق صرخة مدوية،

على إفلات مسدسه، في حين حاول آخر إطلاق النار، على الأعداد التي تقتحم المكان، وتتزايد في سرعة مفزعة، وكلها تطلق صرخة واحدة...

«الله أكبر...»..

وتراجعت (غادة) ذاهلة، تحدِّق فيما يحدث، غير مصدقة كيف ازدحم المنزل القديم بكل هذا العدد، في لحظات قليلة...

ومع الزحام الشديد، لم تدرك ماذا أصاب الرجال الأربعة؟!..

كل ما سمعته، هو صوت الحارس الشخصي لـ(أحمد عزيز)، وهو يصرخ، في صوت حمل كل الرعب:

- ألا تدرون ما تفعلون... أنتم تواجهون...

ثم بتر صرخته بصرخة أخرى، حملت كل الألم...

والتصقت هي بالجدار، محاولة الفهم، حتى فوجئت بالهدوء يسود فجأة، ورأت رجلًا شعبي المظهر، له شارب

شديد الضخامة، يشق الزحام نحوها، ويسألها في تعاطف أبوي قلق:

- أأنت بخير يا آنسة (غادة)؟!

أدهشها سؤاله، وأدهشتها اللهجة التي نطق بها، وبدت لها الأمور أكثر غموضًا وغرابة، فاكتفت بإيماءة من رأسها، ارتسم بعدها الارتياح على وجه الرجل، وانتقل في سرعة إلى الآخرين، وهو يضع راحته على صدره، قائلًا:

- أنا المعلم (خليل)، صاحب أكبر مقهى في المنطقة كلها.

تمتمت بحروف، لم تعي هي نفسها فحواها، فابتسم في شيء من الفخر، وهو يقول:

- سيادة اللواء (مجدي) أوصانا بحمايتك.

رددت في دهشة:

- (مجدي)؟!

أجابها في حماس:

- إنَّه ابن حينا... وُلد ونشأ وتربى فيه... ومنذ التحق بالشرطة، وهو يولينا بحمايته ورعايته، ومعظم العائلات هنا، في رقبتها دينٌ واجب السداد...

غمغمت في دهشة:

- إذن فقد أخبركم.

قال في فخر:

- بل أوصانا...

ثم أضاف في حماس:

- وما من مخلوق هنا سيكشف سره، حتى ولو قطعوا رقابنا واحدًا بعد الآخر.

لمحت الرجال الأربعة في هذه اللحظة، وهم فاقدي الوعي، وبعض أبناء الحي يقومون بتقييدهم، فأشارت إليهم، قائلة

في قلق:

- ولكنكم لا تعلمون من هؤلاء الرجال... إنَّهم...

قاطعها بإشارة حازمة حاسمة من يده:

- أيًا كانوا... لقد طلب منا سيادة اللواء حمايتك، وطلباته على رقابنا أوامر.

ثم أشار إلى الرجال الأربعة إشارة صارمة، مكملًا:

- حتى ولو كانوا من طرف الرئيس شخصيًا.

هزت رأسها هزة خفيفة، وقالت في خفوت:

- يمكنك أن تقول: إنَّهم يشبهون هذا.

بدا صارمًا، وهو يقول:

- لا يهم.

ثم مال نحوها، مستطردًا:

- ألا تدركين أنَّ الوقت قد حان... نحن هنا لسنا معزولين عن الدنيا.... شبابنا يتابع الإنترنت، مثل معظم شباب (مصر) ... وكلنا سنخرج غدًا؛ لنقول لهم إن الكيل قد فاض بنا، ولم نعد نحتمل.

كان الجميع يقفون منتبهين، يتابعون حديث المعلم (خليل) معها، فأدارت عينيها في وجوههم، ثم شدَّت قامتها، قائلة:

- أنتَ على حق... لقد حان الوقت.

ومالت نحوه، متسائلة في صوت سمعه الكل:

- في هذه الحالة، هل يمكن أن أطلب مساعدتكم؟!...

أدهشها أنَّها ما أن انتهت من سؤالها، حتى اعتدلوا جميعًا في وقفة حاسمة مشدودة، وكأنَّهم جيش نظامي مدرب، وكأنَّهم يعلنون موافقتهم المسبقة، على كل ما تطلبه منهم، في حين بدا المعلم (خليل) أشبه بقائد عسكري، وهو يرفع

يده إلى عنقه، مجيبًا بكل الحسم والحزم:

- برقابنا.

وهنا أدركت (غادة) أن الوقت قد حان...

بالفعل...

***

«الباشا؟!...»...

هتف بها قائد الحراسة، في فيلا (أحمد عزيز) القديمة، عندما استعاد وعيه، وفوجئ بهذا الأخير يجلس أمامه، وخلفه يقف حارسه الشخصي في صرامة...

وارتجف جسده كله، وهو يحاول النهوض، مكملًا في هلع:

- لقد باغتنا يا (باشا)... لم نتوقع عودته إلى هنا، بعد أن نجح في الفرار، ولقد استخدم...

قاطعه (أحمد عزيز)، في صرامة غاضبة:

- قنبلة غاز منوم... أعلم هذا... الرائحة ما زالت تترك بعض آثارها هنا... ربما لهذا فتح باب الفيلا ونوافذها، بعد أن ألقاكم كلكم هنا، وأغلق الزنزانة عليكم في إحكام.

كان الرجل شديد الارتباك والتوتر، وهو يقول:

- لسنا ندري من أين جاء بها؟!... ربما كانت منزلية الصنع، تركها في ركن خفي على السطح، ثم عاد ليلتقطها، ويستخدمها، و...

مرة أخرى، قاطعه (أحمد عزيز)، بصرخة غضب هادرة:

- فاشلون.

امتقع وجه الرجل، وحاول أن يستعيد تماسكه، وهو يغمغم:

- لم نكن نتوقع...

قاطعه (أحمد عزيز) للمرة الثالثة، صارخًا:

- رجل الأمن الناجح، لا بدَّ وأن يتوقع كل شيء، وأي شيء... هل تدرك عواقب فشلكم هذا؟!... لقد عمل ذلك (العقرب) على تخديركم، واحتجزكم فاقدي الوعي هنا، ثم راح يتجول في المكان، ويفتشه بكل هدوء وراحة وثقة، حتى عثر على خزانتي السرية.

غمغم الرجل في دهشة:

- أية خزانة؟!

صرخ فيه:

- أما زلت تتساءل؟!

وبدا وجهه أشبه بشيطان غاضب، في قلق الجحيم، وهو يقول:

- تلك المستندات والوثائق، التي حصل عليها شديدة الأهمية والخطورة، ولا بد من استعادتها بأي ثمن.

هتف قائد الحراسة، محاولًا استعادة مكانته:

- سنقلب الأرض بحثًا عنه، و...

قاطعه هذه المرة في حِدَّةٍ شديدة، وهو يلوح بذراعه كلها:

- لا تقترح شيئًا يا زعيم الفاشلين... لقد قمت وحدي بالعمل كله، بعد أن أدركت عجزكم، عن القيام بأية مهمة غير تقليدية... لقد تراخيتم مع مضي الوقت، عندما علمتم أنَّكم تعملون لدى أقوى رجل في (مصر)، وتصورتم، كما تصورت أنا، أنَّه ما من مخلوق، في (مصر) كلها، سيجرؤ على الاقتراب من فيلا يملكها (أحمد عزيز).

وزفر في قوة، وكأنَّما يحاول إطلاق بعض المرارة الغاضبة المشتعلة في أعماقه، قبل أن يكمل بحدة أكبر:

- ثم جاء ذلك (العقرب)، وكسر كل الحواجز، وتجاوز كل الحدود، وبلغت به حماقته حدَّ تحدي (أحمد عزيز)... والأسوأ أنَّه، بسبب عجزكم وفشلكم، قد نجح فيما يسعى إليه.

غمغم الرجل في تخاذل مرتجف، على الرغم من قامته الفارهة، وعضلاته المفتولة، وجسده القوى:

- مرنا يا (باشا).

زفر (أحمد عزيز) مرة أخرى، وتراجع في مقعده، وضم شفتيه في قوة، وكأنَّما يحاول كتمان انفعالاته، التي تفور بحجم بركان غضبه في أعماقه، ثم اعتدل دفعة واحدة، قائلًا في صرامة:

- لقد علمت أين تختبئ زميلته، وأرسلت من يعيدها إلى هنا... وبقي أن أضع يدي على ذلك (العقرب)، وأستعيد منه أوراقي.

بدا الرجل شديد التخاذل، وهو يسأله، في خفوت شديد:

- ألم تعلم أيضًا أين هو يا (باشا)؟!

التقط (أحمد عزيز) كمية كبيرة من الهواء، في محاولة لتبريد نيران غضبه، وألقى نظرة على جهاز صغير في يده، قبل أن يقول:

- إنَّه يجيد التعامل مع التكنولوجيا، مثل كل بني جيله... ولكنه يفوقهم بخبرته وذكائه، وفهمه المدهش للطبيعة البشرية.

لم يفهم قائد الحراسة، ولا حتى الحارس الشخصي، ما الذي يعنيه (أحمد عزيز) بقوله هذا، إلا أنَّ كلاهما لاذ بالصمت، وتركاه يتابع:

- ولكن التكنولوجيا التي يعرفها ويجيدها، هي التكنولوجيا المتاحة للمواطن العادي، وليس التكنولوجيا المتاحة لذوي السلطة.

تنحنح قائد الحراسة، وتساءل في حذر شديد الخفوت:

- ولكن هل علمت أين هو يا (باشا).

التقط (أحمد عزيز) نفسًا عميقًا آخر، وألقى نظرة أخيرة، على شاشة الجهاز الصغير الذي يحمله، قبل أن يجيب، في لهجة لم تخل من كل التوتر:

- هنا.

واتسعت عيون قائد الحراسة والحارس الشخصي عن آخرهما...

فقد كانت المفاجأة مذهلة...

جدًّا.

***

-١٠-

# الختام

أسرع اللواء (مجدي) الخطى، وهو يغادر مبنى وزارة الداخلية، بعد أن سلَّم زيَّه الرسمي وسلاحه وأوسمته، بناءً على قرار إقالته، الذي أصدره تعسفًا وزير الداخلية، والتقط هاتفه المحمول من جيبه؛ ليجري اتصاله بالمعلم (خليل)، وفق المصطلحات المتفق عليها؛ للاطمئنان على (غادة)، عندما استوقفه عميد شرطة، حديث العهد برتبته، وهو يقول في لهجة متعمدة الاستفزاز:

- إلى أين؟!

واجهه (مجدي) في تحدٍّ، وهو يقول:

- إلى الخارج... من الواضح أنَّك علمت بخبر إقالتي، وإلا لأديت لي التحية أيُّها العميد.

لم ترق له ابتسامة ذلك العميد الحديث، وهو يقول في

تشفٍّ واضحٍ:

- ليس هذا فقط ما علمته.

ثم شدَّ قامته، واكتسبت لهجته صرامة مصطنعة، وهو يضيف:

- لقد أمر سيادة الوزير بالتحفظ عليك، ومنعك من مغادرة مبنى الوزارة، لحين صدور أوامر أخرى.

تطلَّع إليه (مجدي) في صمت، دون تعليق، ودون حتى انفعال...

كان يتوقَّع هذا إلى حدٍّ ما...

ولكنه ربما كان يأمل ألا يحدث بهذه السرعة...

فاحتجازه الآن، يعني أنَّه لن يعلم ماذا يدور في الخارج...

ماذا أصاب (نديم)؟!...

وكيف صارت (غادة)؟!..

وعلى الرغم من ذلك العدد المبالغ من رجال الشرطة، والذي أحاط به على نحو مدروس، وكأنَّه واحد من كبار الإرهابيين العالميين، وعلى الرغم حتى من ذلك الأسلوب المستفز، الذي انتزع به ذلك العميد حديث العهد، هاتفه المحمول من يده، إلا أنَّه ظلَّ هادئًا متماسكًا، وهو يقول:

- من الواضح أنَّ التجاوزات قد بلغت ذروتها.

أجابه العميد في خشونة:

- لا تجاوزات أيُّها المواطن... كل ما نقوم به قانوني تمامًا.

سأله، في لهجة هادئة، لم تخف نبرة سخرية لاذعة:

- وفقًا لأي قانون؟!

أجابه العميد، في غلظة خشنة:

- قانون الطوارئ.

هزَّ (مجدي) رأسه في هدوء، قائلًا:

- هل تعلم؟!... الواقع أنَّني أشعر بالندم.

أدهشت العبارة ذلك العميد حديث العهد، فغمغم غير مصدق:

- حقًّا؟!

حملت شفتا (مجدي) ابتسامة عجيبة، وهو يقول:

- بالتأكيد.

ثم مال نحوه، مستطردًا:

- إنَّني أشعر بالندم؛ لأنَّني لم أعمل إلى جوار (العقرب) منذ البداية.

اتسعت عينا الرجل من شدة هلعه، ثم انعقد حاجباه في غضب، وهو يقول:

- سنرى.

استعاد (مجدي) ذلك الشعور، الذي يملأ نفوس أبناء الحي الشعبى، الذي ينتمي إليه، والذي ينبئ بأنَّ الغد سيحمل الكثير، وقال في ثقة:

- نعم.. غدًا سنرى.

وعلى الرغم من دهشته وغضبه، لم يفهم ذلك العميد شيئًا...

أي شيء...

***

«ولكن هذا مستحيل!...»...

على الرغم منه، هتف قائد حراسة فيلا (أحمد عزيز) القديمة بالعبارة، أمام هذا الأخير، الذي أشار بذلك الجهاز الصغير الذي يحمله بيده، قائلًا في شيء من الزهو، على الرغم من غضبه:

- هذه هي التكنولوجيا، التي لا يملكها ذلك (العقرب)... خزانتي السرية كانت مزودة بجهاز تأمين من نوعٍ خاصٍّ، مجهز بحيث يطلق سائلًا غير مرئي، على كل محتوياتها، إذا ما فتحها أحدهم عنوة... وجزء من ذلك السائل، سيصيب ملابس من يفتحها حتمًا... وهذا الجهاز الصغير، يمكنه كشف وجود ذلك السائل، ذي الخواص المغناطيسية، خلال مدى محدود... وما أرصده هنا، يؤكِّد أنَّ السائل على مسافة قريبة مني.

واستعاد غضبه وعصبيته، وهو يضيف:

- وداخل الفيلا بالتحديد.

تحرَّك قائد الحراسة في حركة عصبية، توحي باندفاعه للبحث في الفيلا، ولكن (أحمد عزيز) استوقفه بإشارة صارمة من يده، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- إلى أين أيُّها الفاشل؟!

أجابه الرجل في توتر شديد:

- تقول: إنَّه ما زال داخل الفيلا يا (باشا)، وعلينا أن...

قاطعه (أحمد عزيز) كعادته في حِدَّةٍ:

- عليك أن تستمع إليَّ هذه المرة أيُّها الغبي.

تراجع الرجل في توتر أكثر، وتطلَّع إليه ينتظر أوامره، فزفر (أحمد عزيز) مرة أخرى في قوة، قبل أن يقول:

- لن أسمح له بتحقيق انتصار جديد، على (أحمد عزيز)... هذه المرة، ستسير الأمور وفقًا للخطة التي أضعها أنا.

ثم تراجع في مقعده، واتخذ وضعية متغطرسة، وكأنَّه ملك يجلس على عرشه، وهو يضيف:

- سنقوم بتشغيل كل وسائل الأمن والحراسة، وننشر الرجال في حديقة الفيلا حولها، ولكن لنمنع الخروج منها هذه المرة، وليس الدخول إليها... وسيصعد أحد قناصينا، إلى سطح إحدى البنايات المجاورة، لمراقبة السطح، واصطياد أي عقرب يصعد إليه، أو يحاول الفرار عبره... هكذا نكون قد أحكمنا الحصار، وبعدها...

«لا داعي لكل هذا...»..

قاطعته العبارة بلهجة شديدة السخرية، جعلت الجميع يلتفتون إلى مصدرها بحركة حادة، قبل أن ينفجر مزيج من الدهشة والغضب والاستنكار في نفوسهم، إلى حد جعل (أحمد عزيز) يهتف بلا وعي:

- مستحيل!!...

فعند باب القبو، وفي هدوء شديد، كان يقف آخر شخص يمكن توقعه...

(العقرب)...

لم يكن حتى يحمل سلاحًا يصوبه إليهم...

كان فقط يقف هناك، عاقدًا ذراعيه أمام صدره، ومستندًا إلى جانب الباب، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة...

والأهم، أنَّه كان يرتدي ذلك القناع الأسود المعروف...

وفي حركة عصبية عنيفة، سحب الحارس الشخصي مسدسه، وبحث قائد الحراسة عبثًا عن سلاحه، ولكن (نديم) ظلَّ محتفظًا بهدوئه، وهو يقول:

- ذلك السائل لم ينطلق من خزانتك بالمناسبة.

انعقد حاجبا (أحمد عزيز) في شدة، وشعر، وربما لأول مرة في حياته، أنَّه عاجز عن النطق...

كل ما فعله، هو أن أمسك معصم حارسه الشخصي؛ ليمنعه من إطلاق النار على (نديم)، الذي تابع بنفس الهدوء:

- ربما لأنَّني توقعت أمرًا كهذا، ففصلت التيار الكهربائي عن الخزانة، قبل أن أحطم رتاجها الخاص.

لم تكن فكرة فصل التيار الكهربائي تلك، قد خطرت ببال (أحمد عزيز)، مما أورثه المزيد من الغضب، إلا أنَّه لم يملك سوى الاعتراف بذكاء وبراعة (نديم)، على الرغم منه، وهو يشعر بغصة في حلقه، ويقول بعد جهد جهيد، في صوت

خرج من بين شفتيه مختنقًا متوترًا:

- ولكن الوثائق هنا.... جهازي رصدها.

هزَّ (نديم) كتفيه، قائلًا:

- جهاز رصد السائل، الذي انسكب داخل الخزانة، عندما حطمت الزجاجة الصغيرة التي تحويه، ولم يرصد الوثائق.

صاح قائد الحراسة في عصبية:

- ماذا ننتظر يا (باشا)؟!... فلنقتله على الفور.

قال (نديم) في سرعة، دون أن يمنح (أحمد عزيز) فرصة الإجابة:

- (الباشا) لن يصدر مثل هذا الأمر، قبل أن يعلم يقينًا أين وثائقه ومستنداته؛ فهو ليس من الطراز، الذي يمكنه أن يجازف بهذا.

اعتدل (أحمد عزيز) منتفضًا، وبدا شديد الغضب، وهو

يقول:

- ربما... ولكن لدي وسائل أخرى.

انتبه (نديم)، في تلك اللحظة فقط، إلى تلك الحركة الخفيفة من خلفه، وحاول الاستدارة بكل سرعته...

ولكن تلك الضربة كانت أكثر سرعة، وهي تهوي على مؤخرة عنقه في قوة...

وفي اللحظة التالية، أظلمت الدنيا أمام عينيه...

وهوى فاقدًا الوعي...

أمام (أحمد عزيز)....

مباشرة...

أما ذلك الذي تسلَّل خلفه؛ وباغته بتلك الضربة، فقد صوب مسدسه إلى رأسه، وسحب إبرته، و...

«ليس الآن...»...

هتف بها (أحمد عزيز)، بكل الصرامة والعصبية، فارتفعت إليه كل العيون، ليضيف في مقت واضح:

- لدي خطط أخرى بشأنه.

ومع قوله، أدرك الموجودون أنَّ الموت ليس هو ما ينتظر (نديم)...

بل هو ما سيتمناه قريبًا...

وبشدة...

***

لم يدر (نديم) كم من الوقت بقي فاقدًا الوعي، ولم تكن هناك نافذة واحدة، في ذلك القبو الحصين، يمكن أن تنقل إليه كيف هو الضوء في الخارج...

ولكنه، وعندما استعاد وعيه، كان (أحمد عزيز) يجلس على

مسافة أمتار قليلة منه، يتناول إفطاره على مائدة أضيفت إلى القبو، وأحد رجاله يقوم على خدمته، والباقون يقفون على مسافة قريبة، في وقفة عسكرية، وكأنَّهم في طابور رسمي....

وما أن فتح (نديم) عينيه، حتى توقف (أحمد عزيز) عن تناول إفطاره، والتفت إليه بنظرة شامتة، وهو يجفِّف فمه بمنشفة غالية الثمن، وقال متحديًا:

- من المدهش والمفاجئ، أن رأسك لم يكن بالصلابة التي تصورناها، فلقد بقيت فاقدًا الوعي لأكثر من عشر ساعات.

التفت (نديم) يلقي نظرة، على تلك الشاشة الكبيرة، التي يتركها (أحمد عزيز) داخل القبو، للاتصال بمن يحتجزه فيه، ثم قال في هدوء:

- كنت أحتاج إلى النوم، بعد أن قضيت يومًا كاملًا، في إثبات فشل رجال أمنك.

توتر الرجال بشدة مع عبارته، ولكن (أحمد عزيز) ابتسم، واستدار بجسده كله إليه، وهو يقول:

- ربما أتفق معك في هذا، ولكنك خسرت في النهاية.

لم يندهش (نديم) من أسلوب (أحمد عزيز)، وذلك الهدوء الذي يتحدث به...

ولم يندهش أيضًا، من كونه مقيدًا إلى ذلك المقعد الكبير في إحكام، في منتصف الحجرة، أمام (أحمد عزيز) مباشرة...

بل ولم يندهش حتى؛ لأنَّهم تركوا قناعه على وجهه...

كان يبدو وكأنَّه قد توقَّع كل هذا، وهو يقول في هدوء، لا يناسب شخصًا في موقفه:

- النهاية لم تأت بعد.

والتمعت عيناه في تحد، مضيفًا:

- فأنت لم تعثر على مستنداتك ووثائقك، التي تثبت فسادك وتجاوزاتك... ورجل مثلك، لن يقدم على التخلص مني، قبل أن يستعيد كل ما يدينه.

تلاشى هدوء (أحمد عزيز) الزائف، مع تلك الكلمات، وبدا شرسًا إلى حدٍّ كبيرٍ، وهو يقول في حِدَّةٍ:

- أين أخفيتها؟!.. لقد فتشنا كل ركن في الفيلا، وحتى في الحديقة، طوال الساعات العشر الماضية، ولم نعثر لها على أثر.

ابتسم (نديم) في سخرية، وهو يقول:

- من الواضح أنَّك تدرك مدى خطورتها على مستقبلك.

صاح فيه (أحمد عزيز):

- مستقبلي؟!... هل تتصور أنَّ متحذلقًا مقنعًا مثلك، يمكن أن يهدِّد مستقبل رجل مثلي.

اكتسب صوت (نديم) صرامة مفاجئة، وهو يقول:

- القناع الذي أضعه على وجهي يرمز إلى العدالة، التي يختفي خلفها رجل قانون، أدرك ذلك الخيط الرفيع، بين

القانون والعدالة، أما ما خلف القناع الذي تضعه أنت، فهو ذئب وحشي شرس، وقرد يجيد تسلق السلطة، وليس حتى من أجل مبدأ أو فكر أو عقيدة، بل من أجل المال والنفوذ، والشعور بالقوة الزائفة، والقدرة على فرض الإرادة.

بدا وكأنَّ الكلمات قد صدمت (أحمد عزيز) ورجاله، فقد ساد المكان صمت عجيب بعدها، واتسعت عينا أقوى رجل في (مصر) لحظات، قبل أن يرتسم الغضب بأبشع صورة على ملامحه، وهو يقول، بكل ما يعتمل في نفسه:

- لو أنَّك تصوَّرت أنَّك، بكلماتك الإنشائية هذه، يمكن أن تربح المعركة، فأنت واهم... وغبي أيضًا... تلك المستندات، ومهما بلغت من خطورتها، لا قيمة لها، في مواجهة أقوى رجل في (مصر)... الرجل الذي يمكنه أن يزيح وزير العدل نفسه من موقعه، بمحادثة هاتفية واحدة... حتى ولو قدمتها إلى النائب العام شخصيًّا، فما أن تبدأ التحقيقات الرسمية، حتى تكون قد اختفت بوسيلة ما، وسيربح (أحمد عزيز) في النهاية كالمعتاد...

مال (نديم) برأسه قليلًا، وهو يسأله في اهتمام:

- إذن فأنت تعترف بأنَّك فاسد... بل زعيم الفساد في (مصر) كلها، وبأنَّك قد تحايلت، وزورت، وتجاوزت، للاستيلاء على مصانع، وشركات، وأراضي، ومشاريع كبرى... وجنيت من المال الحرام أموالًا بالمليارات، نهبتها من عرق وكد المصريين.

صاح فيه (أحمد عزيز)، وهو ينهض من مقعده، ويندفع نحوه في حِدَّةٍ:

- فليكن... إنَّني أعترف بكل هذا، ولكن بم سيفيدك اعترافي وأنت تحيا لحظاتك الأخيرة في هذه الدنيا.

التمعت عينا (نديم)، على نحو أدهشه، وهو يقول:

- ربما أفادني، بأكثر مما يمكنك أن تتصور.

توقف (أحمد عزيز) بغتة، وراوده شكٌّ مفزع، جعله يجذب (نديم) من ياقته في عنف، وهو يقول:

- لماذا عدت إلى القبو؟!...

ابتسم (نديم) ابتسامة هادئة، وهو يقول:

- حاول أن تستنتج.

انعقد حاجبا (أحمد عزيز) في شدة، وهو يقول:

- كان بإمكانك أن تفر، دون أن نظفر بك... ولم تكن تحمل حتى سلاحًا، في محاولة للسيطرة علينا!!... فلماذا عدت إلى هنا؟!

قبل أن يجيب (نديم)، اندفع أحد رجال (أحمد عزيز) إلى القبو، وهو يقول في توتر شديد:

- معذرة يا باشا، ولكن هناك لواءان من الداخلية، يريدان مقابلتك فورًا، ويقولان إن الأمر بالغ الخطورة.

التفت إليه (أحمد عزيز) في حِدَّةٍ، وهو يقول:

- أي أمر هذا؟!

فوجئ بالجواب يأتيه من (نديم)، الذي قال في هدوء

مستفز:

- ربما أتيا ليخبراك أنَّ الوزير يحاول الاتصال بك دون جدوى... وربما من أكبر من الوزير ورئيس الوزراء أيضًا؛ فلقد نسيت أن أخبرك، أنَّني قد وضعت في القبو جهازًا خاصًّا، يمنع إشارات الاتصالات، من بلوغ أية هواتف محمولة.

احتقن وجه (أحمد عزيز)، وهو يعود إليه ببصره مرة أخرى، فتابع (نديم) بنفس الهدوء:

- فكلهم يريدون تحذيرك، من أنَّك ضيف على شبكة الإنترنت، من خلال بث مباشر، من داخل القبو.

وأدار رأسه إلى الشاشة الكبيرة، المعلقة على الجدار، مضيفًا في ظفر:

- عبر الكاميرا الصغيرة، في شاشتك هذه، والتي أوصلتها بشبكة الإنترنت مباشرة.

في هذه المرة، كان احتقان وجه (أحمد عزيز) بالغ الشدة، حتى لقد بدا وكأنَّ الدماء ستنفجر من وجهه، و(نديم) يكمل

في ارتياح:

- ليس (مصر) كلها، ولكن العالم أجمع شاهد اعترافك هذا، على الهواء مباشرة، وأنا أُعلِم العالم كله الآن، أنَّني (نديم فوزي)، المحامي الذي ترافع ضدك منذ أيام، فإذا ما أقدمت على قتلي بعدها، فسيضيف هذا إلى جرائمك، جريمة القتل العمد، مع سبق الإصرار والترصد، ولست أظنك بحاجة إلى أن تكون محاميًا، لتعلم أنَّ عقوبة هذه الجريمة وحدها، هي الإعدام شنقًا.

امتقعت وجوه رجال (أحمد عزيز)، وتبادلوا نظرات هلعة ملتاعة، وقد أدرك كل منهم أنَّ الكاميرا قد نقلت وجوههم جميعًا، وأنَّ العقوبة ربما تشملهم أيضًا...

أما (أحمد عزيز) نفسه، فقد صرخ بصوت محتقن:

- حطموا تلك الشاشة.

بدا (نديم) ساخرًا، وهو يراقبهم يندفعون نحو الشاشة، وينهالون عليها بأسلحتهم، حتى أسقطوها محطمة، وقال في هدوء:

- ترى كم مليونًا سجلوا هذا، وسينقلونه إلى ملايين غيرهم؟!

هتف الحارس الشخصي في توتر بالغ:

- لا بدَّ وأن نبتعد من هنا بسرعة يا (باشا).

صرخ فيه (أحمد عزيز):

- ابتعدوا أنتم... (أحمد عزيز) لا يفر من أمام رجل واحد أبدًا.

اندفع رجل آخر من رجاله إلى المكان، وهو يقول مرتجفًا:

- لواءَا الشرطة انصرفا على عجل يا باشا، فهناك آلاف يحيطون بالفيلا، ويحاولون اقتحامها.

صرخ (أحمد عزيز):

- أطلقوا عليهم النار... اتصلوا بوزارة الداخلية... بقوات الأمن المركزي، بـ...

قاطعه الرجل مع شدة ذعره:

- إنَّهم آلاف يا باشا... آلاف... المشهد مفزع للغاية... لا بدَّ وأن نفر من هنا، قبل أن...

قاطعه فجأة دوي صرخات قوية، ورصاصات تنطلق، على نحو يوحي بأنَّ اقتحام الفيلا قد تمَّ بالفعل، فتحول وجه (أحمد عزيز) من الاحتقان إلى الامتقاع، في حين أمسك حارسه الشخصي ذراعه، وهو يقول في حزمٍ:

- ما من سبيل آخر يا (باشا)... الكثرة تغلب الشجاعة والقوة... لا بدَّ وأن نخرج من هنا... وبأقصى سرعة.

ألقى (أحمد عزيز) نظرة شديدة المقت على (نديم)، وحاول أن ينتزع مسدس حارسه الشخصي؛ ليطلق عليه النار، ولكن الحارس جذبه في شيء من العنف، وهو يقول:

- هيا يا (باشا).

كان رجال أقوى رجل في (مصر) (سابقًا)، قد بادروا بالفرار

من القبو، فلم يملك هو سوى اللحاق بهم، وقد امتلأت نفسه بمزيج من الغضب، والمقت والهزيمة، في حين تصاعدت الصرخات والهتافات، في نفس الوقت الذي توقف فيه دوي الرصاصات، وسمع (نديم) وقع أقدام تقترب عدوًا من القبو، ثم ظهرت (غادة) عند مدخله، وخلفها المعلم (خليل)، وما أن رأته حيًا، حتى هتفت في ارتياح:

- حمدًا لله.. حمدًا لله.

أسرعت تحل وثاقه، يعاونها المعلم (خليل)، الذي سأله في حماس وانفعال:

- هل وضعوا هذا القناع على وجهك؟!

أجابه (نديم)، وهو يتحرر من قيوده:

- إنَّهم لم ينزعوه.

هتفت (غادة)، وهي تشعر برغبة شديدة في احتضانه:

- لقد فعلتها يا (نديم)... (العقرب) حقَّق أعظم انتصاراته.

كان هناك المزيد من الرجال، يندفعون إلى القبو، فهتف بهم المعلم (خليل):

- ابقوا خارجًا، وأفسحوا لنا المجال... سنخرج لكم نحن.

سأل (نديم) (غادة)، وهو يتجه وسط الحشد المندهش من قناعه، إلى خارج القبو:

- أنت أتيت بهم؟!

أجابته فرحة مزهوة:

- إنَّهم شعب (مصر)... الشعب الحقيقي، بشهامته، ومروءته، وعظمته.

وابتسم المعلم (خليل)، وهو يفتل شاربه، قائلًا:

- اعتبرناها بروفة، لما سنقوم به بعد ساعات، في كل ميادين (مصر).

غمغم أحد الرجال في حيرة، عندما بلغوا مدخل الفيلا:

- لقد قبضنا على كل الرجال هنا، ولكننا لم نعثر على (أحمد عزيز).

قال (نديم) في هدوء:

- لديه حتمًا وسيلة للفرار من هنا، ولكن لن توجد لديه وسيلة واحدة؛ للفرار من كل شعب (مصر).

غمغم الرجل مرة أخرى، في حيرة أكبر:

- وماذا عن هذا القناع؟!

كان ضوء الشمس يغمرهم جميعًا، عندما وضع (نديم) يده على كتف (غادة)، وتنهد في ارتياح، ثم نزع القناع عن وجهه بيده الأخرى، قائلًا في حزمٍ:

- لم تعد له ضرورة الآن بالتأكيد.

قالها، وألقى قناع (العقرب) في الهواء، والتفت إلى (غادة) بابتسامة ثقة وارتياح كبيرة...

وسجَّل التاريخ تلك اللحظة، باعتبارها مشهد النهاية، في أسطورة (العقرب)...

ومشهد البداية في أسطورة أعظم....

أسطورة الثورة.

***

**(تمَّت بحمد الله)**